

الرَّوَاءُ

فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ مَكَّةَ وَكَرْبَلَاءَ

.....
السيد محمد بن السيد علي العلوي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠١٧م / ١٤٣٨هـ

هوية الكتاب: ■

* الكتاب: الرّواء في التفضيل بين مكّة وكربلاء.

* المؤلف: السيد محمد بن السيد علي العلوي.

* الطبعة: الأولى: ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

* الناشر: موقع صوت الغدير

main.alghadeer-voice.com

* التنسيق والإخراج الفني: الكليم للتصميم:

موبايل (وتساب): ٩٧٣+٣٦٥٧٧٢٢٧

البريد الإلكتروني: **mohd.he@gmail.com**

الرواء

في التفضيل بين مكة وكر بلاء

تأليف

السيد محمد بن السيد علي العلوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام
على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمّد وآله الطيبين
الطاهرين.



مقدمة

التَعَسُّفُ، هو الحكمُ الصادرُ عن غير تروٍّ ولا تفكيرٍ صحيح، ويستحكم مع ترتيب الأثر والذهاب به (أي ذلك الحكم) مادةً للتعريض بالرأي المخالف وكيل الاتِّهَامات له بصنوف المساوئ.

إنَّما ذكرتُ التَعَسُّفَ لأضيفه وصفًا لمُسبِّب ما يعانیه المجتمع على مستويات الثقافة والفكر من الأحكام الخاطئة التي يصدرها بعضٌ ويتبناها عنهم كُثْرٌ؛ إيمانًا بهم، أو اغترارًا، أو ربَّما أخذًا عن غير وعي، وفي كثير من الأحيان يكون الأخذ للموافقة بين الموضوع وبين المبتنيات الثقافية عند الأخذ.

يحتاج بعضنا إلى التآني في ملاحظة القضايا؛ فالقضية لا تتشكل إلاَّ بحيثيات موضوعها ومحمولها، ولا تتكامل الرؤية دون سعي لفهم سلسلتي العلل والمعلولات، وهذا

وإن استغرق وقتاً، إلاَّ أنَّه الطريق الصحيح للفهم، وما دونه غالباً ما يكون انحرافاً يقتضي الضلال والإضلال.

من أمثلة ذلك مسألة (الغلو) التي أصبحت من أسهل ما تُتهم به العقيدة؛ لمجرد عدم القدرة على فهم بعض المطالب المبنائية الدقيقة، وهي ليست ممَّا يُكلِّف به الجميع، غير أنَّ من لم يُحِطْ بها لا يحق له اتهام من وقف عليها، وليلزم كلُّ واحدٍ حدودَ ما توصل إليه دون ارتكاب التعسُّف في إصدار الأحكام وتعميمها على الجميع دون مراعاة لما سوى ما انتهى هو إليه.

يتناولُ بحثُ (الرَّوَاءِ) مسألةً طالما وقف عندها البعضُ مستنكراً مُتَّهِماً لمداركها بالوضع والدس السبائي والإسرائيلي، ويزداد في تعسُّفه كلما رأى التشنيع من المخالفين.

إنَّها مسألة (التفضيل بين مَكَّةَ وكرْبلاءَ)، فنحاول توضيح مسألة التفضيل بالوقوف أوَّلاً على النظر العلمي لنفس سؤال: أيُّهما أفضل..؟! ومنشأه - كما لا يخفى - جملة من النصوص الواردة في بيان فضل كلِّ من مَكَّةَ وكرْبلاءَ.

قال الله جلَّ في علاه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ
أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ
كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ
وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

هذا قرآنٌ ينزلُ في تعظيم بيت الله الحرام وإظهار
فضله ودوره في توبة الإنسان وأمنه، وكلُّها جهاتٌ تكوينية
كما هو واضح.

في قبال هذا المضمون، ترد أحاديث شريفة كما عن

١ - الآيات من ١٢٥ إلى ١٢٩ من سورة البقرة

أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ كَرْبَلَاءَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الكَعْبَةَ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ الفِ عَامٍ، وَقَدَّسَهَا وَبَارَكَ عَلَيْهَا، فَمَا زَالَتْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ الخَلْقَ مَقْدَّسَةً مُبَارَكَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ. وَجَعَلَهَا اللهُ أَفْضَلَ الأَرْضِ فِي الجَنَّةِ»^(١).

وَلَكِنْ فِي حَدِيثٍ آخَرَ يُظْهِرُ فَضْلَ مَوْضِعِ الكَعْبَةِ المُشْرِفَةِ عَلَى سَائِرِ الأَرْضِينَ، فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَحَا الأَرْضَ مِنْ تَحْتِ الكَعْبَةِ إِلَى مَنَى، ثُمَّ دَحَاها مِنْ مَنَى إِلَى عَرَفَاتٍ، ثُمَّ دَحَاها مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى مَنَى. فَالأَرْضُ مِنْ عَرَفَاتٍ، وَعَرَفَاتٍ مِنْ مَنَى، وَمِنَى مِنَ الكَعْبَةِ، وَكَذَلِكَ عَلِمْنَا بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ»^(٢).

لَا بَدَّ مِنَ الإِتْبَاهِ جَيِّدًا إِلَى أَنْ جِهَةَ العِصْمَةِ لَيْسَتْ فِي وَارِدِ المُقَارَنَةِ أَصْلًا، وَلَكِنَّهَا فِي مَقَامِ بَيَانِ الفَضْلِ دُونَ مُقَابَلَةٍ، فَأَرْضُ كَرْبَلَاءَ فَاضِلَةٌ، وَمَكَّةُ فَاضِلَةٌ، وَلِلْبَقِيْعِ فَضْلُهُ، كَمَا لِلأَقْصَى فَضْلُهُ، وَلِمَحَلِّ ولادَةِ نَبِيِّ اللهِ عِيسَى (عَلَى نَبِينَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ) فَضْلُهُ.

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٤٥٠ - ٤٥١

٢ - من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ٢٤١

ومن جهة أخرى، فإنَّ محلَّ الأرض في الحديثين مختلف، أمَّا الحديث الأوَّل فموضوعه الخلق قبل هذه الأرض التي نسكنها، في حين أنَّ الموضوع في الثاني هو نفس هذه الأرض التي نسكنها.

هذا بالنظر الأوَّلي، وهو بداية ما يُفهم من هذا النوع من الأحاديث الشريفة.

أمَّا الأسبقية في الخلق، فلا بدَّ من الوقوف على جهة شرفٍ محتملةٍ فيها، كأنَّ نصل إلى أنَّ المخلوق أوَّلاً أكثر قرباً من الله تعالى، أو أنَّ ثُبَّت رجوع ما دونه إليه، أو ما شابه ممَّا يُظهر الجهة التي شرفته على غيره.

ولكنَّنا عندما ننظر في أحاديث أخرى، كما عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، قال:

«اتَّخَذَ اللهُ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ حَرَمًا آمِنًا مُبَارَكًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ أَرْضَ الْكَعْبَةِ وَيَتَّخِذَهَا حَرَمًا بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ عَامٍ، وَإِنَّهُ إِذَا زَلَزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ وَسَيَّرَهَا رُفِعَتْ كَمَا هِيَ بِتَرْبَتِهَا نَوْرَانِيَّةً صَافِيَّةً، فَجُعِلَتْ فِي أَفْضَلِ رَوْضَةٍ مِنْ

رياض الجنّة، وأفضل مسكنٍ في الجنّة، لا يسكنها إلاّ النبيون والمرسلون - أو قال: أولو العزم من الرسل -، وإِنَّهَا لَتُزْهِرُ بين رياض الجنّة كما يُزْهِرُ الكوكبُ الدُرِّيُّ بين الكواكب لأهل الأرض، يغشي نورُها أبصارَ أهل الجنّة جميعاً، وهي تُتَادِي: أنا أرضُ الله المُقدَّسة الطيِّبة المُباركة، التي تَصَمَّتْ سيِّدَ الشَّهَدَاءِ وسيِّدَ شَبَابِ أَهْلِ الجنّة»^(١).

في هذا الحديث يبين المعصوم عليه السلام أمرين مهمين:

الأوّل: مكان أرض كربلاء في الجنّة.

الثاني: جهة الشرف في أرض كربلاء.

إنّ أرض كربلاء في الدنيا صافية نورانية، تُرْفَعُ إلى الجنّة كما هي.. صافية نورانية، وتُجْعَلُ في أفضل روضة من رياض الجنّة، وتكون مسكنَ الأنبياء والرسل دون غيرهم من الخلائق على الإطلاق، وهو مفاد الاستثناء بعد النفي. بهذا يظهر أنّ أرض كربلاء هي الأفضل عند الله تعالى.

نفهم هذا التفضيل من جهة الشرف الواضحة - كما

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٤٥١

يبدولي - من قولها على رؤوس الأشهاد وهي مزهرة منيرة
في ذلك العالم العلوي: «أنا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة،
التي تَضَمَّنَتْ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ وَسَيِّدَ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

يظهر أن الله تعالى هياً أرض كربلاء لاحتضان الإمام
الحسين عليه السلام في ذاك العالم الثبوتي، فكان وقوع المقتل
العظيم على ترابها زيادة شرف لها، وإلا فمجرد استعادتها
لاحتضان الإمام الحسين عليه السلام هو شرفٌ عظيم.

لأرض كربلاء مسيرٌ خاصٌّ، كان مقتل الإمام
الحسين عليه السلام فيها مرحلةً من مراحل المسير نحو الكمال
الأعلى، وهو أن تكون في ذلك المقام الذي بين الإمام
السَّجَّادِ عليه السلام شيئاً منه.

دعوى البحث:

١ - اجتمع في كربلاء واقع معادلة الحياة منذ خلق آدم
عليه السلام وحتى استشهاد الإمام المهدي بن الحسن (أرواحنا
فداه)، فما يجري على مرّ التاريخ موجودٌ في كربلاء على أرفع
المستويات مطلقاً، فهي مجمع الحياة.

٢- العبادات على مختلف أنواعها إنَّها هي الطريق
المجعول إلهياً للكون على الولاية والاستقامة عليها.

لداعي تصفية الأذهان، أُبَيِّنُ مسألةً مهمَّةً في التفضيل،
فأقول:

لو قلنا: من هو الأفضل في الرجال، القصير أو
الطويل؟

نسمع من البعض المسارعة لإطلاق الحكم، فيقول:
الطويل أفضل؛ ويعلّل جوابه، فيما يسارع آخر بإجابةٍ
مُعَاكِسَةٍ مَعْلَلَةٍ!

الحقُّ أنَّ صاحبي الإجابة ليسا على مستوى الوعي
المطلوب، ولو كانا كذلك لما أجابا ما لم يذكر السائل حيثية
التفضيل المُسَوِّغَةَ للسؤال.

أيُّهما أفضل للعمل في المناجم، الطويل أو القصير؟

فيقال: تتسم المناجم بدنو سقوفها، وبالتالي يضطر
طويلُ القامةِ فيها للاحناء طويلاً بما قد يلحق بعموده

الفقري بعض الأضرار، وبالتالي يُفضَّل قصير القامة.

بعد هذا الجواب، قد يُقال: هل نتمكن من معالجة الأمر بحيث نتيح المجال لطوال القامة ان يعملوا في المناجم؟

لاحظوا.. بعد تحديد الحيثية نتمكن من طرح الموضوع للمعالجة الصحيحة؛ بركة التناول الموضوعي للمسألة.

مثال آخر..

قال أبو عبد الله عليه السلام لأبي حنيفة: «ويحك؛ إنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ إبليس، لما أمره بالسجود لآدم، قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾»^(١).

نحن نسأل: ما هو وجه التفضيل؟ فقد يكون الطينُ أفضل من النار في موارد، وقد يكون العكس في موارد أخرى!

عندما نقف على أحاديث شريفة من قبيل ما عن معاذ

١ - المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص ٢١١

بن جبل: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنِي وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ
وَالْحُسَيْنَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ آلَافِ عَامٍ.

قلتُ: فَأَيْنَ كُنْتُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: قُدَّامَ الْعَرْشِ، نُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى وَنُحَمِّدُهُ وَنُقَدِّسُهُ
وَنُجَمِّدُهُ.

قلتُ: عَلَى أَيِّ مِثَالٍ؟

قال: أَشْبَاحَ نُورٍ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ
يَخْلُقَ صُورَنَا صَيَّرَنَا عَمُودَ نُورٍ، ثُمَّ قَذَفَنَا فِي صُلْبِ آدَمَ، ثُمَّ
أَخْرَجَنَا إِلَى أَصْلَابِ الْآبَاءِ وَأَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ، وَلَا يُصِيبُنَا
نَجَسُ الشَّرْكِ وَلَا سَفَاحُ الْكُفْرِ. يَسْعَدُ بِنَا قَوْمٌ وَيَشْقَى بِنَا
آخَرُونَ. فَلَمَّا صَيَّرَنَا إِلَى صُلْبِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَخْرَجَ ذَلِكَ
النُّورَ فَشَقَّهُ نِصْفَيْنِ، فَجَعَلَ نِصْفَهُ فِي عَبْدِ اللَّهِ وَنِصْفَهُ فِي أَبِي
طَالِبٍ، ثُمَّ أَخْرَجَ النِّصْفَ الَّذِي لِي إِلَى آمَنَةَ وَالنِّصْفَ إِلَى
فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، فَأَخْرَجْتَنِي آمَنَةَ وَأَخْرَجَتْ فَاطِمَةُ عَلِيًّا،
ثُمَّ أَعَادَ عَزَّ وَجَلَّ الْعَمُودَ إِلَيَّ فَخَرَجْتُ مِنِّي فَاطِمَةُ، ثُمَّ

أعاد عزَّ وجلَّ العمودَ إلى عليٍّ فخرج منه الحسنُ والحسينُ -يعنى من النصفين جميعاً- فما كان من نور عليٍّ فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الأئمة من ولده إلى يوم القيامة»^(١).

هذا من الأحاديث المستفيضة مضموناً، وبالوقوف على شيءٍ من مضامينها العالية، ينكشف لنا، ولو على نحو الاحتمال القوي، الوجه في مقولة إبليس لعنه الله، وهو قرب النار من النور، وبعد الطين عنه، فهو من هذه الحيثية حكم بإفضليته على آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَّا أَنَّ جِهَاتٍ أُخْرَى قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ فَتَعَسَّفَ تَعَسُّفًا أَسْقَطَهُ سَقَطَةً لَا نَجَاةَ مِنْهَا.

لذا، فَإِنَّ الْحَدِيثَ فِي مَسْأَلَةِ التَّفْضِيلِ بَيْنَ مَكَّةَ وَكِرْبَلَاءَ لَا يَبْعَدُ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى مُصَادِرَاتٍ وَتَعَسُّفَاتٍ مَا لَمْ يُضْبَطْ وَيُقَوِّمَ بِمِيزَانِ الْحَيْثِيَّاتِ وَالْجِهَاتِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ لَا لِبَسِّ فِيهِ، وَهُوَ مَا التَّمَسَّنَاهُ فِي بَحْثِنَا.

أمَّا عنوان البحث، فقد انتخبته لتوسعي فيه من عنوان (ثواب الزيارة)، فتطرقتُ إلى الولاية ومحوريتها

١ - علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٢٠٨ - ٢٠٩

ومحلّ العبادات منها، وعلاقة كل ذلك بقضية الإمام الحسين عليه السلام، فكان ذلك (رواءً) يذهبُ بعطش المعرفة ويكون (ثواب الزيارة) التي يراها البعض (غلوًّا) مقولًا للعقل، يُنكرُ ما دونه بلا تردّد.

بالله أستعين وعليه أتوكل متوسّلًا في كلّ ذلك بالسادة الأطهار محمّد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

عن يحيى بن زكريا الأنصاري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:

«من سرّه أن يستكمل الإيمان كله فليقل: القولُ منّي في جميع الأشياء قول آل محمّد، فيما أسروا وما أعلنوا، وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني»^(١).

■ أولاً: قضية الإمام الحسين عليه السلام ومسألة الخلق

كي نستوعب شيئاً من قضية الإمام الحسين عليه السلام، لا بد لنا من فهم مسألة الخلق الآدمي أولاً؛ لما تفرضه طائفة من الأحاديث الشريفة التي تربط مقتل الإمام الحسين عليه السلام بسيف أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء، بمصير البشرية والحسم النهائي لكلمة الحق.

عن أبي عبد الله عليه السلام: أن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام ويشارك بمولود يولد من فاطمة عليها السلام تقتله أمتك من بعدك. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل، وعلى ربي السلام. لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي.

قال: فعرج جبرئيل عليه السلام إلى السماء، ثم هبط، فقال له مثل ذلك.

فقال: يا جبرئيلُ، وعلى ربي السلامُ. لا حاجة لي في مولود تقتله أمّتي من بعدي.

فخرج جبرئيلُ إلى السماء، ثمَّ هبط، فقال له: يا محمدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْرُوكَ السَّلَامَ، وَيُبَشِّرُكَ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْإِمَامَةَ وَالْوَلَايَةَ وَالْوَصِيَّةَ.

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: قد رضيتُ.

ثمَّ أرسل إلى فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُنِي بِمَوْلُودٍ يُولَدُ مِنْكَ تَقْتُلُهُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي. فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَنْ لَا حَاجَةَ لِي فِي مَوْلُودٍ يُولَدُ مِنِّي تَقْتُلُهُ أُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا إِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْإِمَامَةَ وَالْوَلَايَةَ وَالْوَصِيَّةَ. فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ إِنِّي قَدْ رَضَيْتُ. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾، فلو أَنَّهُ قَالَ: أصْلِحْ لِي ذُرِّيَّتِي، لكانت ذُرِّيَّتُهُ كُلُّهُمْ أُمَّةً.

ولم يرضع الحسين من فاطمة ولا من أنثى لكنه كان

يؤتى به النبي ﷺ فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فَنَبَتَ لَحْمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ لَحْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَمُهُ مِنْ دَمِهِ، وَلَمْ يُوَلَدْ مَوْلُودٌ لَسِتَّةِ أَشْهُرٍ إِلَّا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

محلُّ الشاهد في هذا الحديث الشريف هو رضى النبي الأكرم والسيدة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليهما وأهلها) بولدٍ تقتله الأمة من بعد جدّه ﷺ بعد إفصاح جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الله تعالى أن الإمامة والولاية والوصية تكون في ذريته.

علينا أن نفهم محورية الولاية في هذا الوجود الآدمي، وأقول: الوجود الآدمي؛ تجنباً عن التوسع، وإلّا فولاية أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ تعمُّ الوجود بما فيه مطلقاً، ومما فيه الأوامر الإلهية، فتنبهه وتأمل جيّداً، واحذر التعسّف والاستعجال قبل الفهم والاستيعاب.

ما يقوم عليه البرهان الساطع بنوره اللامع، هو أنّ المسالك التي جعلها الله تعالى طريقاً لعباده، إنّما هي

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ١٢٣ - ١٢٥

لتقويمهم وضبطهم على ولاية أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام الباقر عليه السلام فيما استفاض عنهم عليهم السلام:
«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ،
وَالصُّوْمِ، وَالْوَلَايَةِ، وَلَمْ يُنَادِ بِشَيْءٍ مَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ»^(١).

وعن أنس بن مالك، قال: رجعنا مع رسول الله
صلوات الله عليه وآله قافلين من تبوك، فقال لي في بعض الطريق:

«ألقوا لي الأحلاس والأقتاب، ففعلوا، فصعد رسول
الله صلوات الله عليه وآله فخطب، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم
قال: معاشر الناس، مالي إذا ذكر آل إبراهيم عليهم السلام تهللت
وجوهكم، وإذا ذكر آل محمد صلوات الله عليه وآله كأننا يُفْقَأُ في وجوهكم
حَبُّ الرُّمَانِ؟! فوالذي بعثني بالحق نبياً، لو جاء أحدكم
يومَ القيامة بأعمالٍ كأمثال الجبال، ولم يجرى بولاية علي بن
أبي طالب لأكبه الله (عزَّ وجلَّ) في النار»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْبَنِيَّةَ وَالنَّسَاءَ وَالْحِلْمَ وَالْحَيْرَ
الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْبَنِيَّةَ وَالنَّسَاءَ وَالْحِلْمَ وَالْحَيْرَ

١ - المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص ٢٨٦

٢ - الأمالي - الشيخ الطوسي - ص ٣٠٨

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿١﴾ «في الصلاة والزكاة
والصوم والخير إذا تولوا الله ورسوله ﷺ وأولي الأمر
من أهل البيت قبل الله أعماهم»^(١).

هذا أمر واضح جدًا ولا غرابة فيه على الإطلاق، بل
لو كان الحال على غيره لكان عند أهل العقول مُنكرًا؛ إذ أنَّ
البرهان قد قام باستقامة لا خدشة فيها، على أن أصل هذا
الوجود إنَّها هو كرامة من الله تعالى لأهل البيت (صلوات
الله وسلامه عليهم أجمعين)، وقد استفاضت النصوص
المعصومة مؤيِّدة لما جاء في الحديث القدسي من الله تعالى
يخاطب الصفوة من عباده: «عبدني خلقتُ الأشياء لأجلِكَ
وخلقتُك لأجلي»^(٢).

وفي حديث طويل عن رسول الله ﷺ، قال: «هل
تعلمون إني أفضل النبيين، ووصيي علي أفضل الوصيين،
وإنَّ أبي آدم تمام اسمي واسم أخي علي وابنتي فاطمة وابني
الحسن والحسين ﷺ مكتوبة على سرادق العرش بالنور،

١ - المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص ١٦٦ - ١٦٧

٢ - الجواهر السنينة - الحر العاملي - ص ٣٦١

منذ قال آدم: الهي هل خلقت خلقت قبلي هو أكرم عليك مني؟

قال يا آدم: لولا هذه الأسماء ما خلقتُ سماءً مبنيةً ولا أرضاً مدحيةً ولا ملكاً مُقَرَّباً ولا نبياً مُرْسَلاً، ولا خلقتُك يا آدم»^(١). وبهذا جاء الحديث الشريف حديث الكساء الذي ترويه سيدتنا الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، وفيه قول الله تعالى: «يا ملائكتي، ويا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَةً، وَلَا أَرْضًا مَدْحِيَةً، وَلَا قَمَرًا مُنِيرًا، وَلَا شَمْسًا مُضِيئَةً، وَلَا فَلَكَأً يَدُورَ، وَلَا بَحْرًا يُجْرِي، وَلَا فُلْكَأً يَسْرِي، إِلَّا فِي مَحَبَّةٍ هُوَ لِأَيِّ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فقال الأمينُ جبرائيلُ: يا ربِّ، ومن تحت الكِسَاءِ؟

فقال عزَّ وجلَّ: هم أهلُ بيتِ النبوة، ومعدنُ الرِّسَالَةِ، هُمُ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا»^(٢).

للقوف على المنازل العظيمة والمقامات الشاخرة لأهل بيت النبوة، فإني أحيل القارئ لرسالة النداء الأعظم

١ - الهداية الكبرى - الحسين بن حمدان الخصبي - ص ١٠١

٢ - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)

ص ٧٦ - ٧٧

من كتاب تحصيل الرشاد وتحصين العباد، فقد ذكرتُ فيها جملة من أحاديث الكافي الشريف في محوريتهم عليه السلام، وكيف أنهم مركز الوجود.

إذا تمكنتَ من استيعاب ذلك، فاعلم أن الله تعالى قد جعل لِنَجَاةِ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِالْوَلَايَةِ ثَمَنًا هو مقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بسيف أمة جدّه صلى الله عليه وآله! كما مرَّ في حديث نزول جبرئيل عليه السلام بنأ المقتل.

أي أن كربلاء الإمام الحسين عليه السلام في كَفَّةٍ يُوزَنُ بِهَا الدِّينُ أَصُولًا وفروعًا، وهو أمرٌ يظهرُ جلاله وتبينُ عظمتُه إذا توجَّهَ النظرُ إلى ربطه باستحالة جهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله طوال مراحل أدائه لرسالة السماء عمدًا، في حال عدم تبليغه آية الولاية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام:

« والله يا عليُّ، ما خلقتُ إلا لِيُعْبَدَ رَبُّكَ، ولتُعْرَفَ

بِكَ مَعَالِمُ الدِّينِ، وَيُصَلِّحُ بِكَ دُرَّاسُ السَّبِيلِ، وَلَقَدْ ضَلَّ
 مِنْ ضَلَّ عَنْكَ، وَلَنْ يَهْتَدِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْكَ
 وَإِلَى وَلايَتِكَ، وَهُوَ قَوْلُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ
 تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، يَعْنِي إِلَى وَلايَتِكَ.
 وَلَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ أَفْتَرِضَ مِنْ حَقِّكَ مَا
 أَفْتَرِضُهُ مِنْ حَقِّي، وَإِنَّ حَقَّكَ لِمَفْرُوضٍ عَلَيَّ مِنْ آمَنَ بِي،
 وَلَوْلَاكَ لَمْ يُعْرِفْ حِزْبُ اللَّهِ، وَبِكَ يُعْرِفُ عَدُوُّ اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ
 يَلْقَهُ بَوَلايَتِكَ لَمْ يَلْقَهُ بِشَيْءٍ، وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ ﴿يَا
 أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، يَعْنِي فِي وَلايَتِكَ
 يَا عَلِيَّ، ﴿وَإِنْ لَمْ تُفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وَلَوْ لَمْ أُبَلِّغْ مَا
 أُمِرْتُ بِهِ مِنْ وَلايَتِكَ لَحَبِطَ عَمَلِي، وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
 بغير وَلايَتِكَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَعَدُّ يُنَجِّزُنِي، وَمَا أَقُولُ إِلَّا
 قَوْلَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِنَّ الَّذِي أَقُولُ لِمَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 أَنْزَلَهُ فِيكَ»^(١).

إذا كان استمرار خطِّ الولاية في قبال قتل الإمام
 الحسين عليه السلام في كربلاء بسيف أمة جدّه عليه السلام، وإذا كانت
 نفس الولاية هي المحققة لمعنى الرسالة السماوية وتبليغها

بما في ذلك من مصاعب كاد الرسول الأعظم ﷺ أن يدفع روحه الشريفة ثمنًا لها، فإن آية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ بما فيها وما تدل عليه، ميزانها كربلاء.

الآن، نفهم شيئاً من المعاني الشائخة للأحاديث الشريفة التي جمعها العالم الفقيه والمحدث النحرير ابن بابويه القمي (علا برهانه) في كتابه الجليل (كامل الزيارات)، وهي في خصوص زيارات المعصومين ﷺ وعظيم فضلها.

عندما نصل إلى الباب الذي خصَّصه مُدْرِسُ للإمام الحسين ﷺ فإنَّ تضافر الأحاديث واستفاضتها تُوقفنا على حقائق جليلة تأخذ بأيدي عقولنا لاستيعاب محورية الإمام الحسين ﷺ في القضية الكونية.

قال الرسول الأكرم ﷺ في حقِّ أبي ذر رضي الله عنه: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»^(١).

يروى عروة بن الزبير عن الصادق أبي ذر، قال:

«سمعت أبا ذر، وهو يومئذ قد أخرجته عثمان إلى

١ - علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ١٧٧

الربذة، فقال له الناس: يا أبا ذر أبشِرْ؛ فهذا قليلٌ في الله تعالى.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بن عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَتْلًا - أو قال: ذبحًا -؟ والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإنَّ الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً، ويبعث قائماً من ذريته فينتقم من الناس، وإنكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الغياض والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم والله حتى تزهق أنفسكم، وما من سماءٍ يمرُّ به روحُ الحسينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا فزع له سبعون ألف ملك، يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابةٍ تمرُّ وترعدُ وتبرقُّ إلا لعنت قاتله، وما من يومٍ إلا وتعرض رُوحُه على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيلتقيان»^(١).

نفهم بذلك إذا رجوع الرسول الأكرم والسيدة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما) عن قولهما: «لا حاجة لي في مولود تقتله أمّتي (أمّتك) من بعدي»،

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ١٥٣ - ١٥٤

بعد قوله جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الله تعالى: « يا مُحَمَّد، إِنَّ رَبَّكَ يَقْرُوكَ السَّلَامَ، وَيُبَشِّرُكَ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْإِمَامَةَ وَالْوَلَايَةَ وَالْوَصِيَّةَ »

ولا يتصورَنَّ أحدٌ أنَّ عدم رضى الرسول الأكرم والسيدة الزهراء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ رفضاً واحتجاجاً ومعارضةً لما يريد الله تعالى؛ فما كان منهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فعل إثباتي لغاية زيادة البيان، وهو في طبيعة وجوده واحدٌ مع ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾، من جهة استدعاء الانتقال إلى مرحلة البيان الصريح، وهو ما حصل بالفعل في النزول الثاني لجبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الآن، فلندقق قليلاً..

قال جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: « يا مُحَمَّد، إِنَّ رَبَّكَ يَقْرُوكَ السَّلَامَ، وَيُبَشِّرُكَ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْإِمَامَةَ وَالْوَلَايَةَ

١ - الآية ٢٦٠ من سورة البقرة

والوصية»، فقال عليه السلام: «قد رضيت».

سؤال:

هل ذلك لقاء أن يموت عليه السلام مقتولاً؟ أو أنّ هناك ربطاً واقعياً بين أن يموت عليه السلام مقتولاً، وأن تكون الإمامة والولاية والوصية في ذريته؟

نلاحظ إصرار السماء على مآل أمر الإمام الحسين عليه السلام إلى القتل بيد أمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فبالرغم من عدم رضی جدّه وأمه، إلّا أنّ الله تعالى يعاود إرسال أمين الوحي عليه السلام بنفس النبأ، ويكون الفصل بالتصريح عن الإمامة والولاية والوصية بأنّه عزّ وجلّ جاعلها في ذريته!

يرجع السؤال ثانية: ما العلاقة بين مسير الإمام الحسين عليه السلام المحتم نحو القتل، وبين أن تكون الإمامة والولاية والوصية في ذريته؟

محاولة على طريق طلب الحقيقة:

يظهر قيام الولاية الإلهية في الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام، ففيهم على وجه الخصوص المصدقي الخارجي

نزلت آية التطهير، وفيهم وردت النصوص التي تبين
مكانهم العليّ في عالم الوجود الممكن، ومنها ما عن محمّد
بن الحسن الطوسي رَضِيَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مَصْبَاحَ الْأَنْوَارِ، بِإِسْنَادِهِ
عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ لَا سَمَاءَ مَبْنِيَّةَ، وَلَا أَرْضَ مَدْحِيَّةَ،
وَلَا ظِلْمَةَ وَلَا نُورَ وَلَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ.
فَقَالَ الْعَبَّاسُ: فَكَيْفَ كَانَ بَدْءَ خَلْقِكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ: يَا عَمُّ، لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَنَا، تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ خَلَقَ
مِنْهَا نُورًا، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى فَخَلَقَ مِنْهَا رُوحًا، ثُمَّ
مَزَجَ النُّورَ بِالرُّوحِ، فَخَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ
وَالْحُسَيْنَ، فَكُنَّا نُسَبِّحُهُ حِينَ لَا تَسْبِيحَ، وَنُقَدِّسُهُ حِينَ لَا
تَقْدِيسَ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُنْشِئَ خَلْقَهُ، فَتَقَّ نُورِي
فَخَلَقَ مِنْهُ الْعَرْشَ، فَالْعَرْشُ مِنْ نُورِي، وَنُورِي مِنْ نُورِ
اللَّهِ، وَنُورِي أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ، ثُمَّ فَتَقَّ نُورَ أَخِي عَلِيٍّ
فَخَلَقَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةَ، فَالْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورِ عَلِيٍّ، وَنُورُ عَلِيٍّ مِنْ
نُورِ اللَّهِ، وَعَلِيٌّ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ فَتَقَّ نُورَ ابْنَتِي فَخَلَقَ

منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثُمَّ فَتَقَ نَوْرَ وَلَدِي الْحَسَنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِنْ نَوْرِ وَلَدِي الْحَسَنِ، وَنَوْرُ الْحَسَنِ مِنْ نَوْرِ اللَّهِ، وَالْحَسَنُ أَفْضَلُ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، ثُمَّ فَتَقَ نَوْرَ وَلَدِي الْحُسَيْنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الْجَنَّةَ وَالْحَوْرَ الْعَيْنِ، فَالْجَنَّةُ وَالْحَوْرُ الْعَيْنُ مِنْ نَوْرِ وَلَدِي الْحُسَيْنِ، وَنَوْرُ وَلَدِي الْحُسَيْنِ مِنْ نَوْرِ اللَّهِ، وَوَلَدِي الْحُسَيْنُ أَفْضَلُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْحَوْرِ الْعَيْنِ»^(١).

وعن عبد الرحمن بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما عنى الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢)؟

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: نزلت في النبي ﷺ، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فلما قبض الله نبيه، كان أمير المؤمنين، ثُمَّ الْحَسَنُ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ثُمَّ وَقَعَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي

١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٥ - ص ١٠ - ١١
٢ - الآية ٣٣ من سورة الأحزاب

كِتَابِ اللَّهِ ﴿١﴾، فكان عليُّ بن الحسين عليه السلام، ثُمَّ جَرَتْ فِي
الْأئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ الْأَوْصِيَاءِ، فَطَاعَتْهُمْ طَاعَةُ اللَّهِ، وَمَعْصِيَتُهُمْ
مَعْصِيَةُ اللَّهِ ﴿٢﴾.

من المفيد أن نشير هنا إلى أن فهم واستيعاب عالمي
الثبوت والإثبات طريقٌ محوري لفهم الكثير ممَّا يظهر فيه
التعارض، كما هو الحال في مسألة الحصر في أصحاب
الكساء، وذكر النبي صلى الله عليه وآله أسماء الأئمة عليهم السلام إلى المهدي
بن الحسن (أرواحنا فداه)، فيكونون ثبوتًا، ومركبٌ
أصحاب الكساء وتأويل ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ...﴾
إضافة لبعض النصوص إثباتًا.

ومن هنا، يمكننا الربط التعليلي بين قوله صلى الله عليه وآله: «لا
حاجة لي في مولود تقتله أمّتي من بعدي»، وبين قوله «قد
رضيتُ» بعد نَبَأِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَاعِلٌ: «الإمامة والولاية
والوصية في ذريته»؛ من جهة أن مقتل الإمام الحسين
عليه السلام، وهو آخر أصحاب الكساء، يعني بالضرورة خلو
الأرض من الحجّة، فقيام الأمر العظيم، فساعة الفصل.

١ - الآية ٧٥ من سورة الأنفال

٢ - الإمامة والتبصرة - ابن بابويه القمي - ص ٤٧ - ٤٨

وَكأنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا حَاجَةَ لِي فِي مَوْلُودِ تَقْتُلُهُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي» مَقْصُودٌ لغيرِ مَعْنَاهِ الْأَوَّلِي، وَلَكِنْ لِحَقِيقَةِ لُطْفِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَأْفَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ؛ إِذْ أَنَّ حَاجَتَهُمْ لِإِمَامٍ هَدَى يُعَمِّقُ مَعْرِفَتَهُمْ بِالْحَقِّ لَنْ تَرْتَفِعَ بَعْدَهُ. وَلَا يَتَعَارَضُ الْمَعْنِيَانِ؛ لَوْضُوحِ اخْتِلَافِ الْجِهَاتِ.

يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الشَّهَالِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «يَا ثَابِتُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ وَقَّتَ هَذَا الْأَمْرَ فِي السَّبْعِينَ، فَلَمَّا أَنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَخْرَجَهُ إِلَى أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، فَحَدَّثْنَاكُمْ، فَأَذَعْتُمُ الْحَدِيثَ، فَكَشَفْتُمْ قِنَاعَ السِّتْرِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتًا عِنْدَنَا. وَيَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(١).

ثُمَّ إِنَّهُ سَوْفَ يَأْتِي قَرِيبًا تَصْوِيرٌ لِمَسَالَةِ اجْتِمَاعِ السَّيْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي وَاقِعَةِ الطُّفْلِ الْفَجِيعَةِ، وَمِنْهَا يُفْهَمُ عَمَقُ الْمَنْهَجِ الَّذِي مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ يُفَيْدَهُ الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ مَفَاصِلِ حَيَاتِهِ مِنَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ أَرَى مَا كَانَ فِي كَرْبَلَاءَ هُوَ

١ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨

التطبيق العملي التام لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي
الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

إذا كانت القضية قضية الحكمة والإحكام وزكاة
النفس في منهج الحياة الذي أوقعه الإمام الحسين عليه السلام
في كربلاء، فإنه هو الذي استحقَّ بذل الروح من أجله، وفي
لقائه كانت مرتبة الشهادة التي صرَّح بها له الرسول الأكرم
صلوات الله عليه عند مجيئه إليه عليه السلام في المنام أو آخر ساعات وجوده
في المدينة المنورة، «فلما كانت الليلة الثانية راح ليودع القبر،
فقام يُصَلِّي فأطال، فنعس وهو ساجد، فجاءه النبي صلوات الله عليه
وهو في منامه، فأخذ الحسين عليه السلام وضمَّه إلى صدره،
وجعل يُقبِّل بين عينيه، ويقول: بأبي أنت، كأني أراك مُرَمَّلًا
بِدَمَكِ بين عِصَابَةٍ من هذه الأُمَّة، يَرْجُونَ شَفَاعَتِي، ما لهم
عند الله مِنْ خَلِاقٍ. يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ قَادِمٌ عَلَى أَيْبِكَ وَأُمَّكَ
وَأَخِيكَ، وَهُمْ مُشْتَاقُونَ إِلَيْكَ، وَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَاتٍ
لَّا تَنَالُهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ»^(٢).

١ - الآية ٢ من سورة الجمعة

٢ - الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٢١٧

إذا صحّت رؤيتنا فإنّ كربلاء إذا قرآن الهداية الذي
استحقّ من سبط رسول الله ﷺ أن يُريقَ في سبيله دمه
ويستفك مهجته ومهيج من معه من خيرة الأصحاب، وأن
يُتيمّ أطفاله ويُعرّض نساءه للأسر.. فكربلاء من أجل
أن نتعلّم الحياة والحكمة في التعامل مع ما يموج فيها
من براكين الفتن والصراعات، والأهواء والشهوات،
والانحرافات والضلالات.

من هنا نعرف القيمة التكوينية والكونية للعلم
والمعرفة.. هي قيمة بحجم نحر الإمام الحسين عليه السلام، كما
وأنّ بقاء الولاية بقاء العلم والمعرفة.

■ ثانيًا: مسألة العبادة بالنسبة للولاية وكرבלاء

المسألة إذا مسألة (الولاية)، وإنما جاءت التشريعات لإقامة العباد على صراطها المستقيم.

قد يُقال: إنه وبالبناء على ما تقدّم، لا حاجة إلى العبادة بعد معرفة الولاية والاستقامة عليها، وربّما شهدنا بعض ذلك في زمننا المعاصر، ونُقل إلينا عن أزمنة سابقة، وجود من يكتفي بإظهار الحبّ الشديد و(الدوبان) في أهل بيت العصمة عليهم السلام!

فأقول:

قالت مولانا الزهراء عليها السلام: «ففرض (الله تعالى) الإيمانَ تطهيرًا من الشرك، والصلاةَ تنزيهاً عن الكبر، والزكاةَ زيادةً في الرزق، والصيامَ تثبيتاً للإخلاص، والحجَّ تسنيّةً للدين، والعدلَ تسكيناً للقلوب، والطاعةَ نظاماً للملّة، والإمامةَ لما من الفرقة، والجهادَ عزاً للإسلام،

والصبرَ معونةً على الاستيْجاب، والأمرَ بالمعروفِ ومصْلحةً للعامة، وبرَّ الوالدين وقايةً عن السخط، وصلةَ الأرحامِ مناهةً للعدد، والقصاصَ حقناً للدماء، والوفاءَ للنذرِ تعرُّضاً للمغفرة، وتوفيةَ المكاييلِ والموازينَ تغييراً للبخسة، واجتنابَ قذفِ المحصناتِ حجَباً عن اللعنة، ومجانبةَ السرقةِ إيجاباً للعفة، وأكلَ أموالِ اليتامى إجارةً من الظلم، والعدلَ في الأحكامِ إيناساً للرعية. وحرَّم اللهُ عزَّ وجلَّ الشركَ إخلاصاً للربوبية. فاتَّقوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه»^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ، فَإِنْ قُبِلَتْ قُبِلَ مَا سِوَاهَا. إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا ارْتَفَعَتْ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ بِيضَاءٌ مُشْرِقَةٌ، تَقُولُ: حَفَظْتَنِي حَفَظَكَ اللهُ. وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا بِغَيْرِ حُدُودِهَا، رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ سُودَاءٌ مُظْلَمَةٌ تَقُولُ: ضَيَعْتَنِي ضَيَعَكَ اللهُ»^(٢).

عندما تكون الولاية هي المحور والغاية، وعندما يقرَّر

١ - علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٢٤٨

٢ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٣ - ص ٢٦٨

اللهُ تعالى لها طريقاً منصوباً، فليس من حقِّ الإنسان تجاوز ما نصَّ عليه الباري جلَّ في علاه، فإنَّ الناقص القاصر لا يحيط بملاكات الطريق المنصوص، فلا يحق له الاجتهاد في تقرير السبيل على الإطلاق.

إنَّ للاستقامة على الولاية شروطاً لا تتحقق أبداً بغير الامتثال لأوامر الله تعالى والانتهاز عن نواهيهِ، وهذا ما ينبغي فهمه جيِّداً.

بل لا تصحُّ الولاية دون العبادات المنصوصة، فهي لها مقدِّمة للواجب، كالطهارة للصلاة، ومقدِّمة الواجب واجبة.

عود على بدء..

يؤدي المسلمُ سائر العبادات كلَّ عبادة في وقتها المخصوص، ولكنه يعيش الحياة في ضمن المواجهة بين الحقِّ والباطلِ كلَّ لحظة، كيف لا، وقد قال إبليس فيما يحكي عنه الكتاب العزيز: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ لَنَا مِنْ يَدَيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١﴾، وكذا ﴿قَالَ رَبِّ
بِمَا أَعُوذُنِي لِأُزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُعْوِينََّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٢﴾.

برزت هذه المواجهة بين الحقّ والباطل في أعلى
مستوياتها كاشفةً عن كامل الحقيقة على أرض كربلاء التي
أراد فيها الشيطان الرجيم أن يطفئ نور الله تعالى بإفناء أهل
بيت النبوة، أو لم يقل قائلهم: (لا تبقوا لأهل هذا البيت
باقية)؟ أو لم يضرمو النار في الخيام بعد مقتل الإمام الحسين
عَلَيْهِ السَّلَامُ ورجال الحرب؟

أمّا صوت الحقّ فقد صاح فيهم: «يا شيعة آل أبي
سفيان، إن لم يكن لكم دينٌ، وكنتم لا تخافون المعادَ،
فكونوا أحرارًا في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم
أعرابًا» ﴿٣﴾!

اجتمع على أرض كربلاء في اليوم العاشر من المحرم
سنة ٦١ للهجرة كل ما جرى على الحقّ بسيف الباطل منذ
استكبار إبليس على أمر ربّه ورفضه السجود لنور محمّد وآل

١ - الآيتان ١٦ - ١٧ من سورة الأعراف

٢ - الآية ٣٩ من سورة الحجر

٣ - عمدة الطالب - ابن عنبه - ص ٧

محمّد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في آدم ﷺ،
إلى ساعة استشهاد الإمام المهدي بن الحسن (أرواحنا فداه)
بعد أن ملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

أمورٌ ثلاثة:

الأوّل: خطب الإمام الحسين ﷺ في الحر الرياحي

ومن معه عند محاصرتهم للركب الحسيني، فقال:

«أيّها الناس، إنّني لم آتكم حتّى أتتني كُتُبكم وقدّمت
عليّ رُسُلكم أنّ أقدم علينا؛ فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله أن
يجمعنا بك على الهدى والحقّ. فإنّ كُتّم على ذلك، فقد
جئتكم، فأعطوني ما أطمئنّ إليه من عهدكم ومواثيقكم،
وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى
المكان الذي جئت منه إليكم»^(١).

برز الإمام الحسين ﷺ في هذه المرحلة بعقلية
المسالمة، وعدم إشهار سيف الحرب، ولكن على أن لا ينزل
على البيعة، فقد قال قبل للوليد بن عتبة في المدينة: «ومثلي

١ - الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٧٩

لا يبايع مثله»^(١)، فإنَّ المسالمة وعدم الدخول في مصادمة مع العدو، لا يعني النزول على حكمه والتسليم له، وهذه مسألة دقيقة تحتاج على عمل تنظيري عميق؛ فهي منهجٌ ثقافي وفكري حاسم جدًّا.

الثاني: خطب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أصحابه ليلة العاشر من المحرم، فقال: «أُنِّي على الله أحسنَ الشَّاءِ، وأحمدُه على السَّراءِ والضَّرَّاءِ، اللهم إني أحمدك على أن أكرمنا بالنبوة وعلمتتنا القرآنَ وفقهتتنا في الدين، وجعلت لنا أسعًا وأبصارًا وأفئدةً، فاجعلنا من الشاكرين. أمَّا بعد: فإني لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرَّ ولا أوصلَ من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيرًا، ألا وإني لأظنُّ أنه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنتُ لكم، فانطلقوا جميعًا في حلٍّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليلُ قد غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا»^(٢).

في هذا الموقف يُثبَّتُ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أدبيةً مهمَّةً، هي عدم تحميل الآخرين مسؤولية خيارات قد لا يوافقون عليها.

١ - العوالم، الإمام الحسين (ع) - الشيخ عبد الله البحراني - ص ١٧٤

٢ - الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٩١

الثالث: خطب الإمام الحسين عليه السلام ظهر العاشر من المحرم في معسكر الأعداء، فقال: «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان؛ إن لم يكن لكم دينٌ وكُنْتُمْ لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كُنْتُمْ عرباً»^(١).
عندما يتوجّه النظر لبحث مسألة ما، فلا يصحُّ انحصاره فيها، بل هذا مخالف لأوليات النظر العلمي الموضوعي.

يفترض بحثُ المسألة بالنظر فيها كنتيجةٍ لعلل ومقدمات، وعلّةٍ لمعلولات ونتائج، وبالتالي فمن المرتكزات الموضوعية في صحّة النظر بحث المسألة من مختلف جهاتها ومتعلقاتها.

نقول هنا: لم عرض الإمام الحسين عليه السلام أن يعود حيث أتى إن كانوا لمقدمه كارهين؟ والغريب أن قدومه كان بحسب الظاهر لما وفد عليه من رسائل ورسول! ما هي قبلات وبعديات هذا الأمر؟

ونقول: لم أحلَّ الإمام الحسين عليه السلام أصحابها من

١ - العوالم، الإمام الحسين (ع) - الشيخ عبد الله البحراني - ص ٢٩٣

وثاق البقاء معه في ساعة من أكثر الساعات حسماً؟ ما هي
قبليات وبعديات هذه المسألة؟

ونقول: لمّ حاول الإمام الحسين عليه السلام بيان دور
العروبة والنسب في توجيه القرار بما يُجنب صاحبه ومن
معه الوقوع في الأخطاء والمهالك؟ ما هي قبليات وبعديات
هذه المسألة؟

ثمّ: إذا كان الإمام الحسين عليه السلام عالماً عارفاً بما تأول
إليه الأمور، فلمَ هذه المحاولات؟

فلندقق قليلاً..

قلنا ونقول بأن أصل مدار الصراع بين الحقّ والباطل
هو الفكر وما يقوم عليه من ثوابت وقناعات وأفكار،
ولأنّ الباطل لا يقوى على المواجهة الفكرية، فإنّ ينجح دائماً
إلى أحد أمرين:

الأوّل: التهجم على الحقّ وأهله واختلاق المعايير
لأتهمهم بها، والاجتهاد الجاد والقوي في صناعة الشبهات
وتزييف إشكالات يريدون منها زلزلة الناس عن الطريق

الصحيح مقدّمةً إبعادهم عنه. فمواجهتهم للحق دائماً ما تكون مواجهة خبيثة لا أمانة فيها ولا شرف ولا موضوعية.

الثاني: الدفع في اتّجاه خيار المواجهة العسكرية؛ لضمانهم تحقيق الغلبة فيها؛ والجهة في ذلك عدمية الحرّمات في عقليات المواجهة عندهم، في حين وجودها وحضورها في عقلية المواجهة عند أهل الحقّ.

ولذلك أكّد الله تعالى بأنّ رواد الضلال وقادته لا يرضون عن الحقّ إلاّ أن يتخلّى عن ذاته ويتّبع الباطل، وفي هذه الآية الكريمة جاء - كما أرى - بأجلى المصاديق، فقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(١).

ينبغي الانتباه جيّداً إلى أنّ خيار ممارسة الإمامة والقيادة من خلال كرسي السلطة الرسمية ليس ممّا يشغل الأئمة الطاهرين عليهم السلام؛ وذلك لأنّ الحقّ يُطلبُ ويقصده من ريده، ولا يطلب هو الناس وبناء القواعد الجماهيرية إلاّ إذا كانوا هم من يختار ذلك، وهذا بحث مُفصّل محلّه مسألة الحكومة في الإسلام.

١ - الآية ١٢٠ من سورة البقرة

عندما نبحث عن أصول الحركة التبليغية في الإسلام، نجدها تدور حول محور الدعوة للهداية على وفق ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١)، ولذلك نرى اطمئنان الإمام الرضا عليه السلام وهو يقول: «فإنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَا تَبْعُونَا» في بيانه لكيفية إحياء أمرهم عليه السلام^(٢).

أحتمل قويًّا، بل هو ما أراه بحسب ما انتهى إليه النظر، أنَّ قوله عليه السلام: «وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر» فرع فرض استلامه السلطة في العراق، فهو عليه السلام من خلال الحكم الرسمي سوف يمارس دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقرينة في ذلك، قوله عليه السلام: «وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام»، فمن قبلي بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا، أضربُ حتى يَقْضِيَ

١ - الآية ٢ من سورة الجمعة

٢ - عيون أخبار الرضا (ع) - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ٢٧٥

اللهُ بيني وبين القوم بالحقِّ وهو خير الحاكمين»، فما أفهمه من هذا النصِّ الشريف أنَّ جهة الإثبات في كلامه عليه السلام لم تكن في وارد النظر إلى طريق الحرب والقتال لتحقيق غاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمَّا قوله عليه السلام في جوابه على محمد بن الحنفية: «أتاني رسولُ الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك (أي: فارق ابن الحنفية)، فقال: يا حُسين اخرج (إلى العراق)؛ فإنَّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً» فقال محمد بن الحنفية: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ فقال له: قد قال لي صلى الله عليه وآله: إنَّ الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا، فسلمَّ عليه ومضى»^(١)، فبالنظر إلى الصورة كاملة يظهر حملة على الثبوت، أي الواقع ونفس الأمر، لا الإثبات كما أشرنا قبل قليل.

وعلى آية حال، فإنَّ ولايتهم وإمامتهم عليهم السلام غير متوقفة على منصب رسمي في حكومة أو ما شابهه، فهي متحققة قائمةً تكويناً.

لذا:

١ - العوالم، الإمام الحسين (ع) - الشيخ عبد الله البحراني - ص ٢١٤

يحتاج المؤمنُ في بقاءه على جادةِ الولاية استحضرَ
كربلاءَ بشكلٍ مستمرٍ؛ إذ أنَّ من أسهلِّ وأيسرٍ ما يمكنُ
تصوُّره، الوقوعُ في انحرافٍ معسكرِ آلِ أبي سفيانٍ في
كربلاءَ؛ وذلك لتدافعِ المغرياتِ والتقمصاتِ والمتشابهاتِ،
بما يُذهلُ العقولَ عن صراطِ الحقِّ، ويوهمها به في خلافه،
فترتفع الأصواتُ بنداءِ (يا حسين) عن عقلياتٍ وثقافاتٍ
تمشي في خطِّ أعدائه!!

في كربلاء قامت أدقُّ معايير التمييز بين الحقِّ والباطل،
فأصبحت مركزاً لأحداث التاريخ منذ بداية الخلق وحتى
قيام الساعة، ولذلك عاش الأنبياء والرسل ﷺ قضية
الإمام الحسين ﷺ محوراً في مسيرهم الرسالي.

رَوَى صَاحِبُ الدَّرِّ الثَّمِينِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ أَنَّهُ رَأَى سَاقَ العَرَشِ وَأَسْمَاءَ
النَّبِيِّ وَالْأئِمَّةِ ﷺ، فَلَقَّنَهُ جَبْرَائِيلُ، قُلْ: يَا حَمِيدُ بِحَقِّ
مُحَمَّدٍ، يَا عَلِيُّ بِحَقِّ عَلِيٍّ، يَا فَاطِرُ بِحَقِّ فَاطِمَةَ، يَا مُحَمَّدُ
بِحَقِّ الحَسَنِ والحُسَيْنِ وَمِنْكَ الإِحْسَانُ. فَلَمَّا ذَكَرَ الحُسَيْنَ
سَأَلَتْ دُمُوعُهُ وَأَنْخَشَعَ قَلْبُهُ، وَقَالَ: يَا أَخِي جَبْرَائِيلُ، فِي

ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي!

قال جبرئيل: وَلَدُكَ هَذَا يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ تَصْغُرُ عِنْدَهَا
المصائبُ.

فقال: يا أخي، وما هي؟

قال: يُقْتَلُ عَطْشَانًا غَرِيبًا وَحِيدًا فَرِيدًا، لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ
وَلَا مُعِينٌ، وَلَوْ تَرَاهُ يَا آدَمُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاعْطَشَاهُ وَاقْلَةً
نَاصِرَاهُ، حَتَّى يَحُولَ الْعَطْشُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَالدُّخَانِ،
فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ إِلَّا بِالسَّيْفِ، وَشَرِبَ الْخُتُوفِ، فَيُنْذَبُ ذَنْبَ
الشَّاةِ مِنْ قَفَاهُ، وَيَنْهَبُ رَحْلَهُ أَعْدَاؤُهُ، وَتُشْهَرُ رُؤُوسُهُمْ هُوَ
وَأَنْصَارُهُ فِي الْبُلْدَانِ، وَمَعَهُمُ النِّسْوَانُ، كَذَلِكَ سَبَقَ فِي عِلْمِ
الوَاحِدِ الْمَنَّانِ. فَبَكَى آدَمُ وَجَبْرَائِيلُ بُكَاءَ الثَّكَلَى»^(١).

ودعا نبي الله موسى ﷺ لإسرائيل ممن آمن به،

فقال:

«رَبِّ، إِنَّ فُلَانًا عَبْدُكَ الْإِسْرَائِيلِيُّ أذْنَبَ ذَنْبًا وَيَسْأَلُكَ الْعَفْوَ.

قال (عز وجل): يَا مُوسَى، أَعْفُو عَمَّنْ اسْتَغْفَرَنِي إِلَّا

١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - ص ٢٤٥

قاتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ، وَمَنْ الْحُسَيْنِ؟

قال له: الذي مرّ ذِكْرُهُ عليك بجانب الطور.

قال: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَقْتُلُهُ؟

قال: تقتله أُمَّةٌ جَدَّةُ الْبَاغِيَةِ الطَّاعِيَةِ فِي أَرْضِ كَرْبَلَاءَ،
وتنفر فرسُه وتحمحم وتسهل وتقول في صهيلها: الظليمة
الظليمة مِنْ أُمَّةٍ قَتَلَتْ ابْنَ بِنْتِ نَبِيهَا، فيبقى مُلْقَى عَلَى
الرمال من غير غُسْلٍ وَلَا كَفْنٍ، وينهب رحله وتسبى
نساؤه في البلدان، ويقتل ناصروه، وتشهر رؤوسهم مع
رأسه على أطراف الرماح. يا موسى، صغيرهم يُمَيِّتُهُ
العطش، وكبيرهم جلده منكمش، يستغيثون ولا ناصر
لهم، ويستجيرون ولا خافر لهم.

فبكى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: يَا رَبِّ، وما لقاتليه من

العذاب؟

قال: يا موسى، عذابٌ يستغيثُ منه أهلُ النارِ بالنارِ،

لا تنالهم رحمتي، ولا شفاعة جدّه، ولو لم تكن كرامة له
لخسفتُ بهم الأرض.

قال موسى عليه السلام: برئتُ إليك اللهم منهم ومن
رضي بفعالهم.

فقال سبحانه: يا موسى، كتبتُ رحمةً لتابعيه من
عبادي، واعلم أنه من بكى عليه أو أبكى أو تباكى حرّمتُ
جسدَهُ على النار^(١).

وهكذا وردت الأحاديث مع جملة من الأنبياء
والرسل، منهم نوح وإبراهيم وعيسى عليهم السلام، وإنّما ذكرت
حديثين من باب المثال؛ طلباً لتوجه الأذهان إلى مركزية
كربلاء في وجودهم الرسالي، خصوصاً وأنّ المعروف
هو قيامهم عليهم السلام بدور التبليغ للتوحيد والأحكام، وهو
المنصوص في الكتاب العزيز ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٢)، فيما
تُستثار في العقول أسئلة جوهرية حول الوجود والخلق وما

١ - العوالم، الإمام الحسين (ع) - الشيخ عبد الله البحراني - ص ٥٩٥ - ٥٩٦

٢ - الآية ٥٦ من سورة الأعراف

شابه ممّا يحتاج إلى دقّة في النظر، وهذا ما مهّد له الأنبياء والرسل ﷺ من خلال ترسيخ مبدأ الوصاية المرتبطة تكويناً بالنبوة والرسالة، وقد مرّ الكلام حول محورية كربلاء القائمة على مدى الوجود البشري في الدائرة الوجودية الأضيق، وعلى ذلك قام الفكر الرسالي في حياة الأنبياء والرسل وأوصيائهم ﷺ.

■ ثالثاً: زيارة الإمام الحسين عليه السلام

اتّضح الارتباط التكويني العميق للولاية بقضية الإمام الحسين عليه السلام، كما وأنّ ممّا لا يحتاج إلى بيان أهمية مسير الشيعي الموالي على خطّ الولاية كما يريد الله تعالى استعداداً لظهور الإمام المظفرّ ببقية الله المهدي بن الحسن (أرواحنا فداه)؛ حيث إنّ غاية الغايات وراثته الأرض التي وعد الله بها المستضعفين من عباده، إذ يقول ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(١)، وانتظاراً لهذه الساعة الحاسمة، جاء النداء في دعاء الندبة العظيم:

«أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية، أين المعدُّ لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج، أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان، أين المدّخر لتجديد

الفرائض والسنن، أين المتخير لإعادة الملة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محيي معالم الدين وأهله، أين قاصم شوكة المعتدين، أين هادم أبنية الشرك والنفاق، أين مُبِيد أهل الفسق والعصيان، أين حاصد فروع الغي والشقاق، أين طامس آثار الزيف والأهواء، أين قاطع حبائل الكذب والافتراء، أين مُبِيد أهل العناد والمردة، أين مُعَزُّ الأولياء ومُذِلُّ الأعداء، أين جامع الكلمة على التقوى، أين باب الله الذي منه يُؤْتَى، أين وجه الله الذي إليه تتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء، أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى، أين مؤلَّف شمل الصلاح والرضا، أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلاء، أين المنصور على من اعتدى عليه وافتري، أين المُضْطَرُّ الذي يُجَاب إذا دعى، أين صدر الخلائف ذو البر والتقوى، أين ابن النبي المصطفى، وابن علي المرتضى، وابن خديجة الغراء، وابن فاطمة الكبرى»^(١).

قلنا بأنَّ العبادةَ طريقٌ للثبات على الولاية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فالمقام الأول للإنسان في هذه الأرض هو مقام الخلافة، وهو مقام غائي لا يناله إلا المصطفون من العباد، وهم الذين ثبتوا على الميثاق وصدقوا الله جلَّ في علاه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١).

أمَّا الرسول الأكرم ﷺ فقد كان وعليُّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ عليهم السلام أنوارًا يسبِّحون الله تعالى ويقدِّسونه قبل خلق الخلق، فكانوا هم المقام الأعلى والمكان الأسمى. قال رسولُ الله ﷺ: «خَلَقْنَا اللَّهُ نَحْنُ (يقصد نفسه الشريفة وأمير المؤمنين والسيدة الزهراء وسبطيه الحسن والحسين عليهم السلام) حيثُ لا سماءُ مبنية ولا أرض مدحية، ولا عرش، ولا جنة ولا نار، كُنَّا نُسَبِّحُهُ حين لا تسيح، ونُقَدِّسُهُ حين لا تقديس»^(٢).

١ - الآية ٨١ من سورة آل عمران

٢ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٥ - ص ١٦

هذا مقام أهل بيت العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وهو المقام الذي ترجع إليه الخلافة الإلهية في الأرض، وهي التي كلف الله تعالى العباد أن يكونوا على طريقها، فقال عز وجل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)، وفيها جاء عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَظْلَمَ، وَلَكِنَّهُ خَلَطْنَا بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَ ظَلَمْنَا ظَلَمَهُ، وَوَلَايَتَنَا وَوَلَايَتَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ يَعْنِي الْأُئِمَّةَ مِنَّا»^(٢).

وقال تبارك ذكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣)، وفيها، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «الْأُئِمَّةُ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ وَفَاطِمَةَ عليهما السلام، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٤).

١ - الآية ٥٥ من سورة المائدة

٢ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٤٦

٣ - الآية ٥٩ من سورة النساء

٤ - الإمامة والتبصرة - ابن بابويه القمي - ص ١٣٣ - ١٣٤

إذًا، هو الطريق الذي يجب على العباد سلوكه أتباعًا
لأئمة الهدى عليهم السلام، وللاستقامة عليه فرض الله تعالى
دستور العبادة، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

عند تأمل الغايات المرجوة من العبادات، نجدها
متوجه لتحقيق مفردات الكمال للإنسان.

قال تعالى في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢)، وقال في الصوم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، وقد مرَّ جانبُ من خطبة سيدتنا الزهراء
عليها السلام تذكر فيها غايات بعض العبادات المفروضة، وبعض
المنهيات.

إذا عرفت ذلك، فإنَّ حقيقةً أخرى تستثيرها في
عقولنا أحاديثُ أهل بيت العصمة عليهم السلام عند ذكرهم
لخلقهم وخلق العقل.

١ - الآية ٥٦ من سورة الذاريات

٢ - الآية ٤٥ من سورة العنكبوت

٣ - الآية ١٨٣ من سورة البقرة

فلندقق قليلاً..

العقل وأهل البيت عليهم السلام

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال: وعزّتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليّ منك، ولا أكملتكَ إلاّ فيمن أحبُّ، أما إني إياك أمرُّ، وإياك أنهي، وإياك أعاقبُ، وإياك أثيبُ»^(١).

العقل خلقٌ كاملٌ يعرفُ حقَّ الله تعالى، فيمثل لأوامره مطلقاً دون فترةٍ من فكرٍ أو نظر، وهذا ما تفيدُه (الفاء) في: (فأقبل) و(فأدبر).

يجعلُ اللهُ تعالى هذا الخلق في خلقٍ آخرٍ بمقادير مختلفة، وهو قوله «ولا أكملتكَ إلاّ فيمن أحبُّ»، فهناك موجبٌ لحبِّ الله تعالى قبل العقل.

أرجحُ قوياً أنّ هذا العقل الكامل هو (البصيرة) التي كلّما قويت في الإنسان، اقترب من الحقِّ وجانب الزيف

١ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٠

والباطل، وقد عبّر عنها بـ(النور)، وهي حقيقة (الولاية)، و(الولاية) هي الفاروق الأعظم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فنحن روح الله وكلماته»^(١)، ولذلك جاء في الكتاب العزيز وقوع (ولاية الأبطال من آل محمد عليهم السلام) في طول ولاية الله جلّ في علاه، أي أنّها ولاية في سلسلة عليّة واحدة، وذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

واعلم، أنّ (الولاية) لا تقتصر على الحالة الإدارية المحدودة في هذه الدنيا، بل هي وجود يظهر في وجوه وحيثيات، كالنور الذي يُفاد منه بحسب ما يقع عليه، فهو للباصرة بحسب حاجتها، وللسامعة بحسب حاجتها، وكذا للامسة والشامّة والذائقة.

قال عليه السلام في الدعاء بعد زيارة آل ياسين: «اللهم إنني أسألك أن تُصليّ علي محمد نبي رحمتك، وكلمة نورك، وأن تملأ قلبي نور اليقين، وصدري نور الإيمان، وفكري نور الثبات، وعزمي نور العلم، وقوتي نور العمل، ولساني

١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٥ - ص ١٠

نورَ الصدق، وديني نورَ البصائر من عندك، وبصري نورَ الضياء، وسمعي نورَ وعي الحكمة، ومودّتي نورَ الموالاتة لمحمّد وآله عليهم السلام؛ حتّى ألقاك وقد وفيتُ بعهدك وميثاقك، فلتسعني رحمتك يا وليُّ يا حميداً^(١).

يقول عليه السلام: « اللهم إني أسألك أن تُصليَ علي محمدَ نبي رحمتك، وكلمة نورك»، وهذه الكلمة المقدّسة هي مادّة الإشعاع في كلّ موقعٍ بحسبه، فالقلب يحتاج إلى اليقين، والصدر إلى الإيمان، والفكر إلى الثبات، والعزم إلى العلم، والقوّة إلى العمل، واللسان إلى الصدق، والدين إلى بصائر الله، والبصر إلى الضياء، والسمع إلى وعي الحكمة، والمودّة إلى الموالاتة لمحمّد وآله عليهم السلام، ولا تُنال هذه المطالب بغير نور الله تعالى، ولا يُنال نورُه جَلّ في علاه إلّا بكلمته، وهي أمر تكويني يبيّن ما استفاض من أحاديثهم الشريفة عليهم السلام.

عندما نتحدّث عن العقل الذي تطرحه الأحاديث الشريفة محورًا ومعياريًا أوحدًا في تقييم الإنسان، نجد أنّه حقيقة الولاية التي من مظاهرها الوجود الرياسي لأهل

١ - الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٣١٧ - ٣١٨

بيت العصمة عليه السلام في هذه الحياة الدنيا، وقلتُ: «من مظاهرها»؛ لأنَّ الولاية مسألة عرشية، هي الأعظم مطلقاً بعد الغني الباري عزَّ وجلَّ، منها الكلمات التي علّمها الله تعالى آدم عليه السلام وبها قامت الحجّة على الملائكة فرجعوا لحقيقة ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، ومنها الكلمات التي تاب الله تعالى بها على آدم عليه السلام، فقد قال ابنُ عباس: سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقى آدمُ من ربِّه فتاب عليه. قال: «سأله بحقِّ محمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ إلابتَ عليٍّ، فتابَ عليه»^(٢).

ومنها ما جرتُ به سفينةُ نوح عليه السلام، فعن النبيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُهْلِكَ قَوْمَ نُوحٍ عليه السلام أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ شَقَّ أَلْوَابَ السَّاجِ، فَلَمَّا شَقَّهَا لَمْ يَدْرِ مَا يَصْنَعُ، فَهَبَطَ جِبْرِئِيلُ عليه السلام فَأَرَاهُ هَيْئَةَ السَّفِينَةِ وَمَعَهُ تَابُوتٌ مِائَةُ أَلْفٍ مَسْمَارٍ وَتِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ مَسْمَارٍ، فَسَمَرَ بِالمسامير كلها السفينة إلى أن بقيت خمسةً مسمير، فضرَب

١ - الآية ٣٢ من سورة البقرة

٢ - الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ١٣٤ - ١٣٥

بيده مسمارًا منها فأشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكبُ
الدُّرِيُّ أَفْقَ السَّمَاءِ، فتحير من ذلك نوحٌ فأنطق اللهُ ذلك
المسمار بلسانٍ طَلِقٍ ذَلِيقٍ، فقال: على اسم خير الأنبياء مُحَمَّدٍ
عبدِ اللهِ، فهبط عليه جبرئيل فقال له يا جبرئيل ما هذا
المسمار الذي ما رأيت مثله؟ قال هذا باسم خير الأولين
والآخرين مُحَمَّدِ بن عبد الله أسمره أولها على جانب السفينة
اليمين.

ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ مَسْمَارًا ثَانِيًا فَأَشْرَقَ وَأَنَارَ. فقال نوح
وما هذا المسمار قال: مسمار أخيه وابن عمه علي بن أبي
طالب، فأسمره جانب السفينة اليسار في أولها.

ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى مَسْمَارٍ ثَالِثٍ فَزَهَرَ وَأَشْرَقَ وَأَنَارَ،
فقال هذا مسمار فاطمة فأسمره إلى جانب مسمار أبيها.

ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ مَسْمَارًا رَابِعًا فَزَهَرَ وَأَنَارَ فَقَالَ هَذَا
مَسْمَارُ الْحَسَنِ فَأَسْمَرَهُ إِلَى جَانِبِ مَسْمَارِ أَبِيهِ.

ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى مَسْمَارٍ خَامِسٍ فَأَشْرَقَ وَأَنَارَ وَبَكَى،
فقال يا جبرئيل ما هذه النداءة؟ فقال هذا مسمار الحسين بن

علي سيد الشهداء، فأسمره إلى جانب مسمار أخيه.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ وَدُسْرٍ﴾،
قال النبي ﷺ: الألواح خشب السفينة ونحن الدُّسْرُ،
لولا نا ما سارت السفينة بأهلها»^(١).

وهكذا مع نار إبراهيم وحتوت يونس وسائر موارد
النجاة لأهل الإيمان والعذاب لأهل الكفر..

واعلم، أن قولنا (حقيقة الولاية) نشير بها إلى استقرار
الخلق على قوانين التكوين، كقانون التوبة وقانون استقرار
الشيء على الشيء، وقانون تماسك الشيء مع الشيء، وهكذا
سائر القوانين التكوينية، ويكفي لفهم هذه الحقيقة ما عن
الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة: «وأنتم نورُ الأخيار، وهدأةُ
الأبرار، وحججُ الجبار. بكم فَتَحَ اللهُ وبكم يَخْتَم، وبكم
يُنزَلُ الغيث، وبكم يُمَسِكُ السماء أن تَقَعَ على الأرضِ إِلَّا
بإذنه، وبكم يُنْفَسُ الهم، وبكم يكشف الضر، وعندكم ما
ينزل به رُسُلُه وهبطت به ملائكتُه»^(٢).

١ - الأمان من أخطار الأسفار - السيد ابن طاووس - ص ١١٨ - ١١٩
٢ - عيون أخبار الرضا (ع) - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٣٠٨

إِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ فِي الْإِنْسَانِ كَانَ عَلَى بَصِيرَةٍ
الْحِكْمَةَ سَالِكًا طَرِيقَ الْعِصْمَةِ مُيَمَّمًا صَوَّبَ مَدَارِجَ الْخِلَافَةِ
الْإِلَهِيَّةِ.

بِعِبَارَةٍ أُخْرَى: حَقِيقَةُ الْوَلَايَةِ هِيَ الْحِكْمَةُ الَّتِي يَكُونُ
بِهَا وَضْعُ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا، فَتَسْتَقِرُّ.

يُفْتَرَضُ بِالْمُؤْمِنِ اسْتِحْضَارُ هَذِهِ الْمَعَانِي الْعَالِيَةِ كَلَّمَا
ذَكَرَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بَلْ قَدْ جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذُبْيَانَ،
عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا مِنْ يَوْمٍ عِيدٍ
لِلْمُسْلِمِينَ، أَضْحَى وَلَا فَطَرَ إِلَّا وَهُوَ يُجَدِّدُ اللَّهُ لَيْلَ مُحَمَّدٍ
(عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِيهِ حُزْنًا.

قَالَ: قُلْتُ: وَلَمْ ذَلِكَ؟

قَالَ: إِنَّهُمْ يَرَوْنَ حَقَّهِمْ فِي أَيْدِي غَيْرِهِمْ»^(١).

فَفِي يَوْمِ الْعِيدِ يَتَقَدَّمُ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ
مَنْ يُنْصَبُ، لِإِمَامَةِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ وَارْتِقَاءِ مَنْبَرِ الْقِيَادَةِ
لِلخُطْبَةِ فِيهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ أَنْفُسِهِمْ وَرِضَى رَبِّهِمْ، وَقَدْ جَاءَ

١ - تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج ٣ - ص ٢٨٩

في الزيارة: «ولعن الله أُمَّةً دفعتمكم عن مقامكم، وأزالتمكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها»^(١)!

إنَّه وبالرغم من كونه يومَ عيدٍ، إلاَّ أنَّ مسألةَ الولاية من حيثُ غصب مقامها الظاهري غُصَّةٌ تعارضُ السمةَ الطبيعيةَ للعيد، وهي سمة الفرح والسرور.

وفي شقشقة أمير المؤمنين عليه السلام: «أما والله لقد تقمَّصها فلانٌ، وإنَّه ليعلمُ أنَّ محلي منها محل القطبِ من الرحي، ينحدِرُ عنِّي السيلُ ولا يرقى إليَّ الطيرُ»^(٢)، وإنَّما الشاهد في وصفه ما كان منه عليه السلام بالشقشقة، حيثُ قال: «تلك شقشقةٌ، هدرت ثمَّ قرَّت».

إذا هي أمرٌ تنفَّسه أميرُ المؤمنين عليه السلام في لحظةٍ أظهرت كم هي غُصَّةٌ في صدور الطاهرين.

عندما ينظر المؤمنُ إلى منبر الهداية وقد ارتقتة قلوبُ ضلالٍ غاصبة، أو نفوسُ زيغٍ جاهلة، فإنَّه يستحضر مخاض الدنيا في كربلاء، فيمر على حاضرتها الفكرية كلِّ

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٣٢٨ - ٣٢٩

٢ - نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ١ - ص ٣٠ - ٣١

موقفٍ ظلم فيه الحقُّ حتّى علّته نعلُ الفاسقين لتحزّ رأسه
المُقدّس وترفعه على الرّماح متباهية بضرّها لعرق الخوارج
الكفرة!!

كلُّ شيءٍ مطلقاً دون الولاية وبلاها خواءٌ في خواءٍ
كالطبل يعلو صوته عن خواءٍ جوف!

﴿فَلا صَدَقَ وَلا صَلَّى * وَلكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(١).

١ - الآيتان ٣١ - ٣٢ من سورة القيامة

■ تقويم الفهم

تُسَلِّمُ بعضُ العقول لما جاء عن أهل بيت العِصْمَةِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في عظمة فضل زيارة الإمام الحسين عَالَيْهِمُ السَّلَامُ، تسليمًا
خالصًا دون سؤال ولا شعور بالحاجة إلى أيِّ سؤالٍ أصلاً.

وتُسَلِّمُ عقولٌ أخرى، إلاَّ أنَّ تسليمها غير مستقر،
فهي لا تتمكن من التسليم التام، ولكنها لا تريد نقض ما
عندها منه، فتلتزم الصمت.

وعقولٌ لا يُسَلِّمُ ولا تُؤْمِنُ بها، إلاَّ أنَّها لا تتحدَّثُ
عنها لا بالإيجاب ولا بالسلب.

وهناك عقولٌ لا تؤمن بأحاديث فضل وعظمة زيارة
الإمام الحسين عَالَيْهِمُ السَّلَامُ، وتُظهِرُ ما هي عليه بإثارة تساؤلاتها،
ولكن بأدب ودون مصادرة ولا تعسُّف.

أمَّا الطائفة الأخيرة، فلا تُؤْمِنُ، وتتعسِّف في إثارتها

للشبهات والتشكيكات، والإساءة لكلّ من يخالفها، إساءة استصغار واستنقاص دون التزام بأدنى موازين الأدب، فهي ترى نفسها على الحق، مسوّغة تهجمها على الآخرين بعنوان ردّ المنكر وصيانة العقيدة من الغلو!!

بعد ما مرّ ممّا أرجوه بياناً جيّداً، فإنّني أستعرض مُتشرِّفاً بعض الأحاديث المعصومة العاصمة في مقام زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لأُعمِلَ النظرَ فيها بعينِ تقوم على محورية الولاية ومدارية ما دونه مطلقاً، وهذا بعد وضوح أمرهم عليهم السلام بحسب ما انتهى إليه جهدنا.

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه رسولُ الله صلى الله عليه وآله، فقال: لعنَ اللهُ قاتليكَ، ولعنَ اللهُ ساليك، وأهلكَ اللهُ المتوازيين عليك، وحكَمَ اللهُ بيني وبين من أعان عليك.

فقالَت فاطمة عليها السلام: يا أبه، أيُّ شيءٍ تقول؟

قال: يا بنتاه، ذكرتُ ما يُصيبُه بعدي وبعذك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذٍ في عُصبةِ كآتهم

نجوم السماء يتهاذون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم
وإلى موضع رحالهم وتربيتهم.

فقلت: يا أبة، وأين هذا الموضع الذي تصف.

قال: موضع يُقال له كربلاء، وهي ذات كرب وبلاء
علينا وعلى الأمة؛ يخرج عليهم شرار أمتي، ولو أن أحدهم
شفع له من في السماوات والأرضين ما شفَعوا فيهم وهم
المخلدون في النار.

قلت: يا أبة، فيقتل؟

قال: نعم يا بنتاه، وما قتل كقتلته أحدٌ كان قبله،
وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والحيتان
في البحار والجبال، لو يؤذن لها ما بقي على الأرض مُتنفس،
وتأتيه قومٌ من محبيننا، ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم
بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحدٌ يلتفت إليه
غيرهم. أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء،
وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسياهم،
وأهل كل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا ولا يطلبون

غيرنا، وهم قِوَامُ الأَرْضِ، بهم ينزل الغيث»^(١).

أَوَّلًا: علمتُ سيدتنا الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ثبوتًا بمقتل ولدها وإمامنا الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل مولده الشريف كما مرَّ في حديث نزول جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبا العظيم، غير أنَّها عَلَيْهَا السَّلَامُ تسأل أباهما وَاللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «يا أبة، فيقتل؟»؛ وكأنَّها لا تعلم بالأمر!

تذكرُ الأحاديثُ الشريفةُ حملَ جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ نباً مقتل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لجدَّة الأكرم وَاللَّهِ عَلَيْهَا السَّلَامُ مرات عديدة، نزولاً تارةً وهبوطاً أخرى، وفي كلِّ مرَّةٍ يظهر وكأنَّ الحدِّثَ مجهولٌ عندَ رسولِ الله وَاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لا أرى رجوعَ الأمرِ إلى العلمِ وعدمه، بل هو لبيان عِظَمِ المصيبةِ ووجوبِ تكرارِ ذكرها متجدِّدةً، يُصعقُ لها الفؤادُ في كلِّ مرَّةٍ يسمعها، وكأنَّه لا يريد التصديق، أو يرجو البداء، وهذه مسألةٌ تحتاجُ إلى تأمُّلٍ بقلبٍ يتقلَّبُ تحت قدمي الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ صريعاً.

ثانيًا: قُتِلَ الإمامُ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على أرضِ كربلاءِ في اليومِ العاشرِ من المحرَّمِ سنةِ إحدى وستين للهجرة،

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ١٤٤ - ١٤٥

ولم يكن ما جرى إلّا نتيجةً لمقدمات بدأها إبليس عند استكباره وقراره بأن يكون ندًا عدوًّا للولاية، ثمَّ جرت سفينته الخبيثة حاضنة لكلِّ سيء العنصر من الخلق، فمرّت بكربلاء لترتكب جريمتها الكبرى، وتواصل مسيرها إلى ساعة استشهاد الإمام المهدي بن الحسن (أرواحنا فداء).

أقول: رأسُ الإمام الحسين عليه السلام لا يزال مرفوعًا على أشرعة سفينة إبليس، ولا زالت السفينة حَمَّالة لركابها، وما لم يبقى المؤمنُ واعيًا متنبِّهًا، فهو عرضة لزلَّة تلحقه بالخبثاء، ولذلك يُصرُّ الإمامُ الصادق عليه السلام على توضيح حقيقة خطيرة، وذلك في قوله: «صَمَّنَ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا دَمَكَ وَتَارَكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ»^(١). فيكون الإنسان مسؤولاً عن دم الإمام الحسين عليه السلام على طول التاريخ إلى قيام الساعة، ولغاية البقاء على جادة الحقِّ سنَّ رسولُ الله ما التفتت إليه سيدتنا الزهراء عليها السلام مستغربةً أيَّاهَا؛ فإنَّ الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله كان يقول: «اللهم اغفر لقومي؛

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٣٨٦

إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١)، وهو الذي عُرِفَ بالعفو والتجاوز والرحمة، حَتَّى قَالَ عَنْهُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وهو الذي رفع في يوم الفتح شعار «اليوم يوم المرحمة»^(٣) ونادى مناديه: «من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبو سفيان فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن»^(٤).

لَكِنَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى أَمْرِ سَبْطِهِ الشَّهِيدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ: «لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلِيكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ سَالِيكَ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ الْمُتَوَازِرِينَ عَلَيْكَ، وَحَكَمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَعَانَ عَلَيْكَ».

وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِمَحُورِيَّةِ مَقْتَلِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْوَلَايَةِ وَمَصِيرِ الْإِيْمَانِ، وَمِنْ هُنَا، نَفْهَمُ الدَّوَافِعَ الْعَظِيمَةَ لِلتَّشْوِيقِ وَالْحَثِّ عَلَى زِيَارَةِ كَرْبَلَاءَ وَإِحْيَاءِ أَمْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى قَالَ ﷺ: «وَتَأْتِيهِ قَوْمٌ مِنْ مُجْبِنِينَ، لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَلَا أَقْوَمُ بِحَقِّنَا مِنْهُمْ، وَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ غَيْرِهِمْ. أَوْلَيْتُكَ مَصَابِيحٌ فِي ظُلُمَاتِ

١ - إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس - ج ١ - ص ٣٨٤

٢ - الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء

٣ - شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الخائري - ج ٢ - ص ٣٠٣

٤ - شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الخائري - ج ٢ - ص ٣٠٣

الجور، وهم الشُّفَعَاءُ، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسياهم، وأهلُ كُلِّ دينٍ يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قِوَامُ الأرضِ، بهم ينزل الغيثُ»، فهم الذي يحفظون الأمر عفيًا يدبُّ في شريان أهل الحقِّ فلا تبرد القضية ويبقى الحذر من الوقوع في الحُبثِ قائمًا.

ثالثًا: يتحدّثُ الرسول الأكرم ﷺ عن بكاء الخلق على مصيبة كربلاء، فيقول: «وتبكيه السماواتُ والأرضونَ والملائكةُ والوحشُ والحيتانُ في البحارِ والجبالِ، لو يؤذَنُ لها ما بقي على الأرضِ مُتَنَفِّسٌ»، فلولا ما لكربلاء من عظمةٍ استوعبها عالم التكوين، لما بكتها السماوات والأرضون والملائكة والوحوش والحيتان في البحار والجبال.

ولو لم يكن أمرها متعلِّقًا بخطر عظيم لما بكتها، وأي خطر أعظم من الغاية الإلهية للخلق؟

هذا ما دار حديثنا عنها فيما مضى، وهنا أذكر بعض الأحاديث الشريفة التي تبين ارتباط المخلوقات بقضية الولاية.

عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: سمعتُ رسولَ
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

«تَحْتَمُّوا بِالْعَقِيقِ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ جَبَلٍ أَقْرَّ لَللَّهِ تَعَالَى
بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَبِالنَّبُوَّةِ، وَلِكَ يَا عَلِيُّ بِالْوَصِيَّةِ، وَلِشِيعَتِكَ
بِالْجَنَّةِ»^(١).

وعن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خَبَرِ طَوِيلٍ، قَالَ:

«وَفِي يَوْمِ الْغَدِيرِ عَرَضَ اللهُ الْوَلَايَةَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ
السَّبْعِ، فَسَبَقَ إِلَيْهَا أَهْلُ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَزَيَّنَ بِهَا الْعَرْشَ،
ثُمَّ سَبَقَ إِلَيْهَا أَهْلُ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَزَيَّنَهَا بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، ثُمَّ
سَبَقَ إِلَيْهَا أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَزَيَّنَهَا بِالْكَوَاكِبِ، ثُمَّ عَرَضَهَا
عَلَى الْأَرْضِينَ فَسَبَقَتْ مَكَّةُ فَزَيَّنَهَا بِالْكَعْبَةِ، ثُمَّ سَبَقَتْ إِلَيْهَا
الْمَدِينَةُ فَزَيَّنَهَا بِالْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ سَبَقَتْ إِلَيْهَا
الْكُوفَةُ فَزَيَّنَهَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَرَضَهَا عَلَى الْجِبَالِ،
فَأَوَّلُ جَبَلٍ أَقْرَّ بِذَلِكَ ثَلَاثَةَ جِبَالٍ: جَبَلُ الْعَقِيقِ وَجَبَلُ
الْفَيْرُوزِجِ وَجَبَلُ الْيَاقُوتِ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْجِبَالُ جِبَاهُنَّ
وَأَفْضَلَ الْجَوَاهِرِ، ثُمَّ سَبَقَتْ إِلَيْهَا جِبَالُ أُخْرَى، فَصَارَتْ

١ - عيون أخبار الرضا (ع) - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٧٥

معادن الذهب والفضة، وما لم يُقر بذلك ولم يقبل صارت لا تُنبت شيئاً. وعُرِضَتْ في ذلك اليوم على المياه فما قبل منها صار ملحاً أجاجاً، وعرضها في ذلك اليوم على النبات فما قبله صار حلواً طيباً، وما لم يقبل صار مُراً، ثُمَّ عرضها في ذلك اليوم على الطير فما قبلها صار فصيحاً مصوتاً، وما أنكرها صار أخرس مثل اللكين، ومثل المؤمنين في قلوبهم ولواء أمير المؤمنين في يوم غدیر خم كمثل الملائكة في سجودهم لآدم، ومثل من أبى ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير مثل إبليس، وفي هذا اليوم أنزلت هذه الآية : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَكَانَ يَوْمَ بَعَثَهُ مِثْلَ يَوْمِ الْغَدِيرِ عِنْدَهُ وَعَرَفَ حَرَمَتَهُ؛ إِذْ نَصَبَ لِأُمَّتِهِ وَصِيًّا وَخَلِيفَةً مِنْ بَعْدِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾^(١).

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنَّ حديثنا هذا تَشَمِيرٌ مِنْهُ قُلُوبُ الرِّجَالِ، فَمَنْ أَقْرَبَ بِهِ فَزِيدُوهُ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ فَذَرُوهُ؛ إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةٌ يَسْقُطُ فِيهَا كُلُّ بَطَانَةٍ وَوَلِيَجَةٍ حَتَّى يَسْقُطَ فِيهَا مَنْ كَانَ يَشُقُّ الشَّعْرَ بِشَعْرَتَيْنِ، حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا

نَحْنُ وَشِيعَتُنَا»^(١).

ينبغي للعاقل أن يتنبه إلى خطر الانحصار الذهني في خصوص موازين الحياة المادية التي يرى فيها الإنسان نفسه محوراً؛ فعالم الإمكان بما فيه من خلق وطبائع أوسع بكثير من مُدركات الحسّ البشري، ويكفي أن يتأمل ما عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعتُ عليَّ بن الحسين عليه السلام يقول:

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَالطَّيِّبِينَ مِنْ نُورِ عَظْمَتِهِ، وَأَقَامَهُمْ أَشْبَاحًا قَبْلَ الْمَخْلُوقَاتِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْظِنَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا سِوَاكُمْ؟ بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ أَلْفَ أَلْفِ آدَمَ وَأَلْفَ أَلْفِ عَالَمٍ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ فِي آخِرِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ»^(٢).

أقول:

دلَّت النصوص الشريفة على أن لسائر المخلوقات أفهاماً ومشاعراً، كل خلق بحسبه، ففي الكتاب العزيز يقول الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

١ - بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٤٣

٢ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٥ - ص ٢٥

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ
 أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
 وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
 الصَّالِحِينَ * وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
 مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي
 بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ
 بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ
 وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا
 يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
 يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
 تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ
 سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا
 فَأَلْفَيْهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿١﴾.

نملٌ يتحدثون ويسمعون ويفهمون، وطيْرٌ يراقب
 ويأتي بخبرٍ مهمٍّ خطيرٍ لنبي من أنبياء الله تعالى، وهو سليمان
 (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام).

وقال جلّ في علاه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «احمّرت السماء حين قُتِلَ الحُسينُ»^(٢)، فلا يُقالُ أنّ المقصود من بكاء السماء والأرض بكاء سُكّانها من الملائكة والجنّ والإنس؛ فاحمرار السماء عارض على نفس السماء، ويؤيّد ذلك ما عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت:

«خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً ثمّ جاءنا وهو أشعثٌ أغبرٌ ويده مضمومة. فقلتُ له: يا رسول الله، ما لي أراك أشعثاً مغبراً؟

فقال: أُسْرِيَ بي في هذا الوقت إلى موضعٍ من العِراق، يقال له كربلاء، فرأيتُ فيه مصرعَ الحُسينِ وأهلي، وجماعةٍ من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل القُطُ دماءهم، فها هي في يدي. وبسطها إليّ، وقال لي: خُذْه واحفظي به. فأخذته، فإذا هو شَبُهُ تُرابٍ أحمر، فوضعتُه في قارورةٍ وشددتُ رأسها واحفظتُ بها، فلمّا خرج الحُسينُ عليه السلام من مكّة متوجّها نحو العِراق، وكنْتُ أُخْرِجُ القارورةَ في كلِّ يومٍ

١ - الآية ٢٩ من سورة الدخان

٢ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ١٨٢

وليلة فأشتمها وأنظر إليها ثم أذكر بمصابه، فلما كان يوم العاشر من المحرم أخرجتها في أول النهار وهي بحالها، ثم عدت إليها آخر النهار فإذا هو دمٌ عيبٌ، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعدائهم بالمدينة فيسروا بالشماتة، فلم أزل حافظةً للوقت واليوم حتى جاء الناعي بنعيه فحققت ما رأيت^(١).

و«كان عليه السلام يخطبُ إلى بعض الأجداع، فلما عمل المنبر، وتحوّل إليه، حنَّ كما تحنُّ الناقةُ، فلما جاء إليه والتزمه سَكَنَ»^(٢).

هذا قليلٌ مما يؤكّد على الوجود المدرك لسائر الكائنات والمخلوقات بما لا يدع مجالاً للإنكار منكرٍ إلا ولحقته سمّةُ العناد والمكابرة.

ثمّة أمرٌ..

في الحديث الشريف الذي يبين عرض الله تعالى الولاية على الخلق، لم يذكر الإمام عليه السلام كربلاء، فيما ذكر

١ - روضة الواعظين - الفتال النيسابوري - ص ١٩٣
٢ - روضة الواعظين - الفتال النيسابوري - ص ٦٣ - ٦٤

مكّة المكرّمة لولايتها بالبيت العتيق!

الجواب: لقد مرّ حديثُ أبي جعفر عليه السلام: «خلق الله كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين الف عام، وقدّسها وبارك عليها، فما زالت قبل أن يخلق الله الخلق مقدّسةً مباركةً، ولا تزال كذلك. وجعلها الله أفضل الأرض في الجنة». فكربلاء خلق مقدّسٌ لقدسيتها الولاية. فتأمّل.

بل وأحتمل قويًّا أنّ مقام كربلاء جاء لقبولها احتضان جسد السبط المطهّر مقطّعًا يشخب دماءً من جميع أنحاء وهو يحتضن رضيعه صريعًا بسهم الخبث أطلقته يد الإجرام ليستقر في عنقه الشريف!

بيّن الإمام عليه السلام الجوائز التي يمنّ الله تعالى بها على خلقه لقاء قبولهم الولاية، كما وقد عرّضت الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملها، كما هو صريح الكتاب العزيز، فلا أستبعد أن يكون هذا الشرف العظيم لأرض كربلاء جائزة لها إذ قبلت أطهر الدماء وأزكاها أن تُراق على أرضها إجرامًا وانتهاكًا لحُرّم الله تبارك ذكره.

٢- عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

قلتُ له: إنِّي أنزل الأرجان وقلبي يُنازعني إلى قبر
أبيك، فإذا خرجتُ فقلبي وجلُّ مُشْفِقٌ حتَّى أرجع خوفاً
من السلطانِ والسُّعَاةِ وأصحابِ المسالِحِ.

فقال: يا بن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً، أما
تعلم أنه من خاف لُخوفنا أظَلَّهُ اللهُ في ظلِّ عرشِهِ، وكان
مُحدِّثهُ الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه اللهُ من أفزاع يوم
القيامة، يَفزَعُ الناسُ ولا يفزع، فإن فزعَ وَقَرَّتْهُ الملائكةُ
وسكَّنت قلبَهُ بالبشارة»^(١).

هذا وفي غير زيارة الإمام الحسين عليه السلام فإنَّ الشارع
المقدَّس يفرض حفظ النفس والابتعاد عمَّا يهدد استقرارها.
نعم، فذلك من أجل الاستقامة على طريق الولاية بإحياء
أمر الإمام الحسين عليه السلام، وهو المختار لله جلَّ في علاه بما
يقطع به على نحو اليقين بما استفاض من أحاديثهم الشريفة
عليهم السلام. فإذا تراجع المؤمنون عن الزيارة خوفاً من بطش
السلطان، ضاعوا عن الولاية فانتقض الغرض.

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٢٤٣

يُبَيِّنُ هَذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ مَحَلَّ النَّفْسِ مِنْ قَضِيَّةِ
كَرْبَلَاءَ، وَلَوْ لَا كَوْنِيَّتَهَا لَمَا أَرْخَصَ اللَّهُ تَعَالَى النَّفْسَ بَيْنَ
يَدِي أَمْرَهَا.

أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَصْدُودَ، وَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُهُ الْعَدُوُّ أَوْ
مَا شَابَهُ مِنْ الْوَصُولِ إِلَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ يَقَرَّرُ لَهُ الشَّارِعَ
الْمَقَدَّسَ أَحْكَامًا خَاصَّةً فِي سَبِيلِ التَّحَلُّلِ مِنَ الْإِحْرَامِ وَعَدَمِ
الْمَخَاطَرَةِ بِالنَّفْسِ؟ وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ مَعَ زَائِرِ الْإِمَامِ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَمَّا مِنْ مَاتَ فِي طَرِيقِهِ لزيارة الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَزَاؤُهُ
مَعْلَنٌ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّخَّارِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«تَزُورُونَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَرْكَبُونَ السَّفِينَ؟»

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا إِذَا انْكَفَتْ بِكُمْ نُودِيْتُمْ: أَلَا طَبُّتُمْ
وَطَابَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ»^(١).

١ - كَامِلُ الزِّيَارَاتِ - جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَوْلُوِيَه - ص ٢٥٧ - ٢٥٨

٣- عن زيد الشحام، قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟»

قال: كان كمن زار الله في عرشه.

قال: قلت: ما لمن زار أحداً منكم؟

قال: كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله)»^(١).

إنّ لزيارة الإمام الحسين عليه السلام قرباً عظيماً من الله تعالى، حتّى شَبَّهَهَا الإمام عليه السلام بزيارة الله تعالى في عرشه، وقد سُئِلَ الإمام الكاظم عليه السلام عن معنى قول الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فقال عليه السلام: «اسْتَوَى عَلَى مَا دَقَّ وَجَلَّ»^(٢).

أفهم من هذا التشبيه البليغ استجماع قبر الإمام الحسين عليه السلام لما دَقَّ وَجَلَّ من مُكُونِ هذا الوجود، وهذا هو عين ما بنينا عليه رؤيتنا كما مرَّ غير مرَّة.

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٢٧٨
٢ - المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص ٢٣٨

ولذلك قال أبو عبد الله عليه السلام: «وَكَلَّ اللهُ بِقَبْرِ
الْحُسَيْنِ عليه السلام أَرْبَعَةَ آلَافٍ مَلَكٍ شَعْتًا غَيْرًا، يَبْكُونَهُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، فَمَنْ زَارَهُ عَارِفًا بِحَقِّهِ شَيَّعُوهُ حَتَّى يُبْلِغُوهُ مَأْمَنَهُ،
وَإِنْ مَرَضَ عَادُوهُ عُذُوةً وَعَشِيَّةً، وَإِنْ مَاتَ شَهِدُوا جَنَازَتَهُ
وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

أَحْتَمَلُ قَوِيًّا أَنَّ الْمَعْرِفَةَ بِالْحَقِّ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ مِثْلَ
هَذَا الْجِزَاءِ الْعَظِيمِ هِيَ تِلْكَ الَّتِي خَرَجْنَا بِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ
السَّابِقَةِ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ الْحَالِ وَمَا تَقُومُ عَلَيْهِ مَعَادِلَاتِ
وَمُوزَانَاتِ الْوُجُودِ قِيَامُ الْحِكْمَةِ الدَّافِعَةِ لِهَجْمَاتِ اللُّوَابِسِ،
فَمَنْ حَقَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَنْ نَرَى فِيهِ كُلَّ التَّوَافِقَاتِ
وَالصَّرَاعَاتِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ، وَأَنَّهُ عليه السلام اخْتَصَرَهَا فِي
جِرَاحَاتِهِ وَتَيْتِيمِ أَطْفَالِهِ وَسَبِي نَسَائِهِ، وَمَا جَرَى عَلَى أَهْلِ
بَيْتِهِ مِنْ وِيَلَاتٍ.

٤ - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ:

«إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ عليه السلام تَحْضُرُ لِرُؤَاكِ قَبْرِ ابْنِهَا
الْحُسَيْنِ عليه السلام فَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ».

١ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٤ - ص ٥٨١

يؤكد الإمام الصادق عليه السلام أمر حضور السيدة الزهراء عليها السلام لزوار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم، وقد يكون التعبير بالحضور للزوار أوّلاً وبالذات، وقد يكون ثانياً وبالعرض، وربما استغفرت لهم على نحو المجموع دون انحلال، وقد يكون بالانحلال في كلِّ فردٍ فرد.

يظهر من التوكيد ب(إنَّ) حضور مولاتنا الزهراء عليهنَّ السلام لخصوص الزوّار، كما ويبدو أنّ حضورها من جهة كونها والدة المذوّب المذبوح، وفي هذا المقام ينبغي لنا الانتباه جيّداً إلى أنّ هناك من المؤمنين حجّاجاً وزوّاراً للنجف وسامراء والكاظم وخراسان والسيدة زينب والبقيع، وغيرها من المشاهد المعظمة لأولياء وصالحين، كما وهناك عبّادٌ في جوف الليل ونسّاكٌ ومتصدّقون، وهناك من يأوي الفقير ويُشبع الجائع ويكسو العريان، وهناك من يصلح ذات البين ويوفق لزواج..

نعم، قد تحضر السيدة الزهراء عليها السلام وأبوها وبعلمها وأولادها الطاهرين للاستغفار والدعاء لكلِّ هؤلاء،

إلّا أنّ ذكر الإمام المعصوم عليه السلام لخصوص زوّار الإمام الحسين عليه السلام يدل بوضوح على وجود أمر يميزهم عن غيرهم مطلقاً.

|| أحاديث الجزاء بثواب:

تبيّن الأحاديث المستفيضة والمتظافرة، وبحسب بعض المباني المتواترة معنيّ ومضموناً، استنفار الوجود وانشغاله حتّى قيام الساعة بقضية كربلاء ومقتل الإمام الحسين عليه السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«اتَّخِذُوا الْحَمَامَ الرَّاعِيَةَ فِي بِيوتِكُمْ؛ فَإِنَّهَا تَلْعَنُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام»^(١).

وعن داود بن فرقد، قال:

«كنتُ جالساً في بيت أبي عبد الله عليه السلام، فنظرتُ إلى الحمام الراعي يقرقرُ طويلاً، فنظرتُ إلى أبو عبد الله عليه السلام، فقال: يا داود، أتدري ما يقول هذا الطير؟

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ١٩٧ - ١٩٨

قلتُ: لا والله جُعِلْتُ فداك.

قال: تدعو على قتلة الحسين بن علي عليهما السلام فاتَّخِذُوهُ فِي
مَنَازِلِكُمْ»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ليس من مَلِكٍ فِي
السَّمَاوَاتِ إِلَّا وَهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي
زِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَفَوْجٌ يَنْزِلُ وَفَوْجٌ يَعْرُجُ»^(٢).

وقال عليه السلام: «قَبْرُ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَشْرُونَ ذِرَاعًا فِي
عَشْرِينَ ذِرَاعًا مُكَسَّرًا، رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، مِنْهُ مِعْرَاجٌ
إِلَى السَّمَاءِ، فَلَيْسَ مِنْ مَلِكٍ مُتَقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ إِلَّا وَهُوَ
يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَزُورَ الْحُسَيْنَ عليه السلام، فَفَوْجٌ يَهْبِطُ وَفَوْجٌ
يَصْعَدُ»^(٣).

يطلب الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام الإذن من الله
تعالى لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام الذي هو روضة من
رياض الجنة، في حين أن الإنسان احتاج إلى حثٍّ وبعثٍ

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ١٩٧ - ١٩٨

٢ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٢٢٣ - ٢٢٤

٣ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٢٢٥

وتشويقٍ لزيارته، في الوقت الذي لم تبين الأحاديث الشريفة ثواباً للملائكة والأنبياء والرسل ﷺ على زيارتهم للقبر الشريف، بل يظهر أنَّ الثواب هو نفس الإذن لهم من الله جَلَّ في علاه؛ فقد كانت وَلايَةُ أهل البيت ﷺ كلمة الفصل في أمر الخلافة الإلهية، وفي بلوغ الحجة لله تعالى على الملائكة، وفي توبته عزَّ وجلَّ على آدمَ ﷺ، وفي الهدى العاصم عن الضلال في الأرض^(١)، وكلُّ هذا قام صريحاً وبأدقِّ تفاصيله في كربلاء.

إنَّ زيارةَ كربلاء هي أرفع مراتب الشرف على طريق رضى الله تعالى، وهذا ما يطلبه الملائكة - فيما يبدو للنظر القاصر -.

يظهر لي أنَّ الأحاديث التي تبين الثواب بثواب الحجج والغزوات تحت راية رسول الله ﷺ إنما جاءت لتقول صريحاً: أنت أيها الإنسان تقصد بيت الله الحرام حاجاً، وتطلب الشهادة بين يدي رسول الله ﷺ مجاهداً، وترى أنَّ ثواب ذلك لا يضاهيه ثواب، وها أنا أُصرِّح لك

١ - المؤلف: تعرَّضتُ للتفصيل في هذه المطالب في رسالة النداء الأعظم من رسائل كتاب (تحصيل الرشاد وتحصين العباد)

بما لا يحتمل التردد، بأنَّ ثواب زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إحياءٌ لأمره وفهمًا لواقع الحياة من خلاله، قوامٌ وعمادٌ وروح سائر العبادات.

إذا عرف المؤمن ذلك، فليتأمل بعين البصيرة قبل الباصرة، هذا الحديث الشريف الذي حدّث به هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال: أتاه رجل فقال له: «يا بن رسول الله هل يُزارُ والدك (يقصد الإمامَ أبا عبد الله الحسين عليه السلام)؟
قال: فقال: نعم، ويُصَلَّى عنده، ويُصَلَّى خلفه ولا يُتَقَدَّمُ عليه.

قال: فما لِمَن أتاه؟

قال: الجنَّةُ إن كان يَأْتُمُ به.

قال: فما لِمَن تركه رغبةً عنه؟

قال: الحسرة يوم الحسرة.

قال: فما لِمَن أقام عنده؟

قال: كُلُّ يَوْمٍ بِأَلْفِ شَهْرٍ؟

قال: فَمَا لِلْمُنْفِقِ فِي خُرُوجِهِ إِلَيْهِ وَالْمُنْفِقِ عِنْدَهُ؟

قال: دَرَاهِمٌ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ.

قال: فَمَا لِمَنْ مَاتَ فِي سَفَرِهِ إِلَيْهِ؟

قال: تُشَيِّعُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَأْتِيهِ بِالْحَنُوطِ وَالْكَسُوةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَتُصَلِّيُّ عَلَيْهِ إِذْ كُفِّنَ، وَتُكَفَّنُهُ فَوْقَ أَكْفَانِهِ وَتَفْرُشُ لَهُ الرِّيحَانَ تَحْتَهُ وَتَدْفَعُ الْأَرْضَ حَتَّى تُصَوِّرَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ، وَمَنْ خَلْفَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى قَبْرِهِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ رُوحُهَا وَرِيحَانُهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ.

قلتُ: فَمَا لِمَنْ صَلَّى عِنْدَهُ؟

قال: مَنْ صَلَّى عِنْدَهُ رَكَعَتَيْنِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

قلتُ: فَمَا لِمَنْ اغْتَسَلَ مِنْ مَاءِ الْفِرَاتِ ثُمَّ أَتَاهُ؟

قال: إِذَا اغْتَسَلَ مِنْ مَاءِ الْفِرَاتِ وَهُوَ يُرِيدُهُ تَسَاقَطَتْ

عنه خطاياهِ كيوم ولدته أمُّه.

قال: قلتُ: فما لِمَن يُجهز إليه ولم يخرج لعلَّة تصيبيه؟

قال: يعطيه الله بكلِّ درهم أنفقَه مثلَ أُحُدٍ من الحسنات ويخلف عليه أضعاف ما أنفقَه، ويصرف عنه من البلاء ممَّا قد نزل ليصيبه ويدفع عنه ويحفظ في ماله.

قال: قلتُ: فما لِمَن قُتِلَ عنده، جَارَ عليه سلطانٌ فقتلَهُ؟

قال: أوَّل قطرةٍ من دمه يغفر له بها كل خطيئةٍ وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة حتَّى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه ويشرح صدره ويملاً ايماً، فيلقى الله وهو مُحلَّصٌ من كل ما تخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألفٍ من إخوانه، وتولَّى الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت، ويؤتى بكفنه وحنوطه من الجنة، ويوسع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويفتح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطرف من الجنة، ويرفع بعد ثمانية عشر يوماً إلى

حظيرة القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتى تصيبه النفخة التي لا تُبقي شيئاً، فإذا كانت النفخة الثانيةُ وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسولُ الله ﷺ وأميرُ المؤمنين عَليّاً عَليهِ السَّلَامُ والأوصياءُ، ويبشرونه ويقولون له: الزمنا، ويقومونه على الحوض فيشرب منه ويُسقي من أحبَّ.

قلتُ: فما لمن حُبسَ في إتيانه؟

قال: له بكلُّ يومٍ يُحبس ويغتم فرحةً إلى يوم القيامة، فإن ضُربَ بعد الحبسِ في إتيانه كان له بكلِّ ضربةٍ حوراء، وبكلِّ وجعٍ يدخل على بدنه ألف ألف حسنة، ويُمخى بها عنه ألف ألف سيئة، ويرفع له بها ألف ألف درجة، ويكون من مُحدثي رسول الله ﷺ حتى يفرغ من الحساب فيصافحه حملةُ العرش ويُقال له: سل ما أحببت. ويؤتى بضاربه للحساب، فلا يسأل عن شيءٍ ولا يحتسب بشيء، ويؤخذ بضبعيه حتى يُنتهى به إلى ملكٍ يجوبه ويُتحفه بشربةٍ من الحميم وشربةٍ من الغسلين، ويوضع على مقال في النار، فيقال له: ذُق بما قدّمت يداك فيما أتيت إلى هذا الذي ضربته، وهو وفدُ الله ووفدُ رسوله، ويؤتى بالمضروب

إلى باب جهنم ويقال له: انظر إلى ضاربك وإلى ما قد لقي،
فهل شفيت صدرك وقد اقتصَّ لك منه؟ فيقول: الحمد لله
الذي انتصر لي ولولد رسوله منه»^(١).

أقول: لا أراه حديثاً يُشْرَحُ، بل هو والله حديثٌ
تطيب به نفوسُ المؤمنين، وتقومُ بحقِ نوره عقائدهم،
وتستقيم على طريق الهدى أفهامهم..

وهو حديثٌ يغيضُ العارفين من أعداء الولاية،
وهؤلاء من درجة إبليس الذي كان عارفاً بفضلها العظيم،
إلا أن شقاوته حجبتَه عن عزيمة الاتِّباع وهمة الامتثال،
قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢)..

وهو حديثٌ يثير في النفوس الجاهلة والضائر المتبلدة
تقيحات من الاستهزاء والسخرية، وقد قال جلَّ في علاه
﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا
مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣)، وقال تبارك ذكره ﴿وَلَقَدْ

١ - كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ٢٣٩ - ٢٤١

٢ - الآية ١٤ من سورة النمل

٣ - الآية ١٠ من سورة الأنعام

اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١﴾، وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٢﴾، فمن يستهزئ فإنما هو مستهزئ بمقام
العِصمة الذي أفاض هذه البيانات العظيمة.

نفهم الآن معنى أن يقول إمامنا أبو جعفر الباقر

عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من الفضلِ
لماتوا شوقاً وتقطعت أنفسهم عليه حسرات.

فقال له الراوي: وما فيه؟

قال: من أتاه تَشَوُّقًا كتبَ اللهُ له ألف حجة مُتَقَبَّلَةٍ
وألف عمرة مبرورة وأجر ألف شهيدٍ من شُهَدَاءِ بدرٍ
وأجر ألف صائمٍ، وثواب ألف صدقةٍ مَقْبُولَةٍ وثواب
ألف نسمة أُريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظًا سَنَّتَهُ من كُلِّ
أَفَةٍ أهونها الشيطان، وَوُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ يحفظه من بين

١ - الآية ٣٢ من سورة الرعد

٢ - الآية ٤١ من سورة الأنبياء

يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه
ومن تحت قدمه. فإن مات سَنَّتَهُ حَضْرَتُهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ
يُحْضِرُونَ غَسْلَهُ وَأَكْفَانَهُ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ، وَيُشِيعُونَهُ إِلَى قَبْرِهِ
بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَيُفْسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيُؤْمِنُهُ اللَّهُ مِنْ
ضَغْطَةِ الْقَبْرِ وَمِنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ أَنْ يَرَوْعَانَهُ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ
إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَيُعْطَى لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورًا
يُضِيءُ لِنُورِهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: هَذَا مِنْ
زُورِ الْحُسَيْنِ شَوْقًا إِلَيْهِ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا تَمَّتْ
يَوْمئِذٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ زُورِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).



■ استطرادٌ موضوعي.. كلمةٌ للمنبر الحسيني

عندما تفوق عظمةُ المعنى القدرات البيانية للمتحدِّث أو الكاتب، فإنَّه يرجو الخروج إلى من يخاطبهم بنفس ما بداخله، لا بما يُعبَّرُ عنه.

هذا هو حالُ القلم عندما ينوي وصف عظمة القضية الحسينية، فيكتفي بالقول: هي قضية كونية لم يزل الوجود في اضطرابٍ احتضارٍ وسكراتٍ موتٍ مَدَّ عِلْمَ بها، وزاد بعد وقوعها..

كيف لصاحب المنبر أن يتحدَّث عن الإمام الحسين عليه السلام ناقلًا أو واصفًا أو محللًا؟

هل له أن يتبرَّعَ بألفاظ يدَّعيها مُعَظِّمَةً للمصيبة دون مراقبة دقيقة لكونها كذلك أو لا؟

قبل الحديث عن ذلك، ينبغي التنبيه إلى أن أحدًا لا

يملك التحرك ضمن المبلّغين عن كربلاء إلا مع الالتزام التام بالنصوص المعصومة ورعاية علماء العقيدة والفقهاء من أهل التقوى والورع لله، لا لأي شيء غير الله تعالى!

ليس في قضية كونية عظمى كقضية الإمام الحسين عليه السلام مساحة، ولو ضيقة، للكيف والمزاج والرؤى الخاصّة التي تُتبع فيها الأهواء واستدواقاتها تحت اسم (الحسين عليه السلام) و(الخدمة الحسينية)!

كما وأنّها ليست محلاً لتصنيفية الحسابات الشخصية، وتسويق المصالح الحزبية!

ليس في قضية كونية عظمى كقضية الإمام الحسين عليه السلام مساحة، ولو ضيقة، للاستزاق وجعلها طريقاً للمدّات الدنيا تحت اسم الدين وإحياء الأمر.. وكرم الحسين عليه السلام!

قضية كربلاء قضية تحمّل مسؤولية الإنباء عنها جبرئيل الأمين عليه السلام، فهبط ماكناً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لتداول الأمر وحيّاً يتلوه وحيّاً، حتّى بان ارتباطها

السمائي بعمق العقيدة، بل أسفر لذوي الألباب محلها من
الولاية الكبرى، وهو المحل الذي أشبهه بالواجب الركني
للصلاة الذي تبطل بتركه عمداً أو سهواً، أو حتى عن جهل
قصوري على الأحوط لزوماً كما يذهب بعض الفقهاء.

يجب على المؤمن العاقل عموماً، وصاحب المنبر على
وجه الخصوص، الحذر كل الحذر من عدم، بل حتى الخلل
في الالتزام بقوانين الإسلام عقيدةً وفقهاً وأدباً في تبليغه
قضية كربلاء، وأن يُخلص تمام الإخلاص في النأي بها عن
كل ما دونها مما يتشبه بالديني، فضلاً عن الديوي.

هنا كلمة..

لا شك في أهمية وخطورة الدور القيادي للفقهاء
المراجع، والعلماء الأفاضل في الأمة، وكذا الدور التوجيهي
المحوري في المجتمعات لطلبة العلوم الإسلامية خطباء
منبريين وغير ذلك، إلا أن الخطورة الأكبر من جهة التأثير
في الناس وثقافتهم، هي للكلمة الشعرية التي تخرج من
حنجرة المُنشد^(١) المنبري؛ وذلك لما للنظم الشعري واللحن

١ - المُنشد، يُسمّى في بلاد البحرين، وربما القطيف والأحساء أيضاً، (شَيْال)، وفي
العراق (رادود)، وفي إيران (مدّاح)

من أثر عميق في النفس، يعمل فيها دون شعور - في الغالب - وبعيداً عن سلطة العقل والتعقل، وخصوصاً مع مخاطبتها للعاطفة بمختلف أنواعها المشاعرية منها أو الثورية أو الأدبية أو غير ذلك، فإذا غابت الأرضية الثقافية العلمية عن المتلقي، فإنّه ينجذب للقصيدة ويتشكل في ثقافته عليها، وهو أمرٌ نشهده مع كلِّ موسمٍ إحيائيٍّ مثل عاشوراء؛ حيث الرواج لبعض الأفكار غير الصحيحة والمخالفة لأسس وأدب الولاية، وحينها يصعبُ العمل مع الناس على تصحيحها؛ والسبب ارتباطها بالإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وما يتبع هذا الربط من عناوين تجانب الصواب، وهي أيضاً ممّا يصعب تناوله بعد إسناده لعنوان التوفيقات الحسينية!

نعم، قد يقوى تيار الخطأ الثقافي والفكري، وقد يركبُ الغرورُ بعض النفوس، ولكنَّ هذا في نهاية الأمر لن يعود بالبوال الأخروي إلا على المتسبين فيه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(١)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرءُ يعثرُ برجلِهِ فَيَبْرِي، ويعثرُ بلسَانِهِ فَيُقَطَعُ رأسُهُ. احفظْ لِسَانَكَ؛ فَإِنَّ الكَلِمَةَ أَسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ، فَإِنْ أَطْلَقَهَا صَارَ أَسِيرًا فِي وَثَاقِهَا»^(٢).

عندنا ما لا ينفد من النصوص المعصومة في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، نصوصٌ في العقيدة، ونصوصٌ في الفقه، ونصوصٌ في السيرة، ونصوصٌ في الأخلاق والأدب.. عندنا نصوصٌ تستوعبُ الحياةَ استيعابًا يجعل من منابرنا - كما هي كذلك إن شاء الله تعالى - منايرَ نورٍ ترفد المجتمع بما يُظهِره على غيره مطلقًا، ويغنيه عن التفلّت بين أقدام الأهواء واستذواقاتها.

لا يصعب على شعراء التشيع فتحُ قنواتٍ للتكامل فيما بينهم وبين العلماء، يعملون من خلالها على تحويل النصوص المعصومة إلى قصائد ثقيلة وازنة ذات أبعادٍ تأخذ محلّها لبناء الإنسان بناءً إيمانياً صحيحاً، ومن جهةٍ أخرى تمتلك القدرة على تقديم القضية الحسينية بما يُثبّت في

١ - الآية ١٨ من سورة ق

٢ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - ص ٢٩٣

الأذهانِ قدسها كما هو في السماء، ويرد ما دونها الشبهات والتخرصات بمختلف أنواعها ودرجاتها، ومصادرهما.

بكلِّ وضوحٍ، أقول:

نحتاج أن نعتدّ على منبر الحسين عليه السلام اعتماد مطمئنٍ لإخلاصه وعلمه ومعرفته، ليكون الممهد القوي لإلقاءات الفكر وفيضه عن الثقلين المقدّسين، فليكن شعراءً قصيدة الولاية ومنشودوها على قدر هذه المسؤولية العظمى التي تعرّضوا لتحملها، وعند ذلك لن يُجرموا عناية بقية الله الأعظم مولانا صاحب الأمر (أرواحنا فداه).

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

السيد محمّد بن السيد علي العلوي

يوم عرفة ١٤٣٩ للهجرة - البحرين المحروسة

الفهرس

٧	مقدّمة
١٣	دعوى البحث:
١٩	أولاً: قضية الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> ومسألة الخلق
٢٩	الآن، فلندقق قليلاً
٣٠	محاولةً على طريق طلب الحقيقة:
٣٧	ثانياً: مسألة العبادة بالنسبة للولاية وكرهه
٣٩	عود على بدء
٤١	أمورٌ ثلاثة
٤٤	فلندقق قليلاً
٥٣	ثالثاً: زيارة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>
٥٨	فلندقق قليلاً
٦٧	تقويم الفهم
٧٩	ثمّة أمرٌ
٩٧	استطرادٌ موضوعي.. كلمةٌ للمنبر الحسيني
٩٩	هنا كلمةٌ

